دكتورة / نعمات فؤاد



الإسلام في رأى الشرق والغرب







المكتبة الأكاديمية

الإســـلام فى رأى
الشرق والغرب

المكتبة الأكاديمية

١٢١ ش التحرير - الدقى - القاهره

تليفون: ٣٤٨٥٢٨٢/ ٣٤٩١٨٩٠

فاكس: ٣٤٩١٨٩٠ - ٢٠٢

الإســـلام فى رأى الشرق والغرب

دكتوره

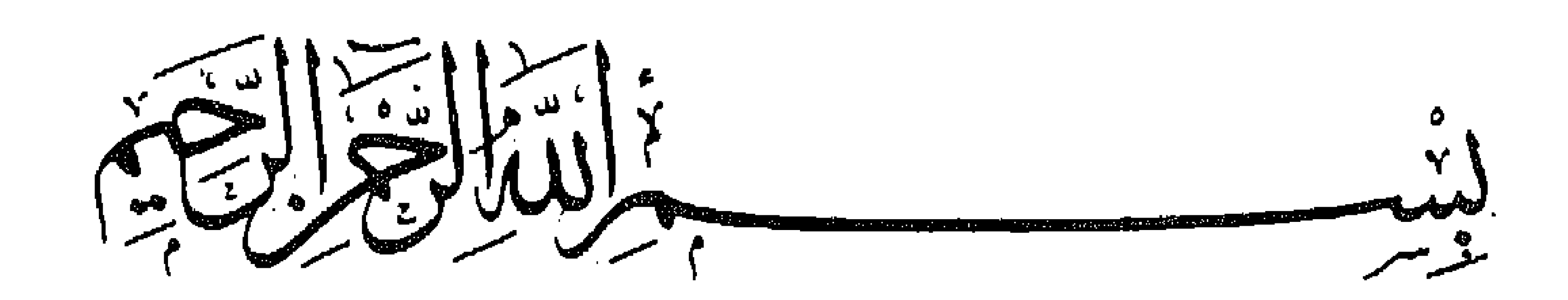
نعمات أحمد فؤاد



الناشر

المكتبة الأكاديمية

١٩٩٩


بسم الله الرحمن الرحيم

موضوعات الكتاب

رقم الصفحة

مقدمة المؤلفة

إبحار فى نفائس الكتب الشرقية والغربية أو على التحديد الفارسية والتركية والإنجليزية والفرنسية... وفى مقدمة هذا كله: **العربية** لغة دين ووطن....

هذه الكتب الحجة قصدت إلى قراءتها قراءة مقارنة دارسة محللة تجلو روائعها.. كتب فى الدين.. فى الأدب.. فى الفن.. فى التاريخ.. فى الفلسفة.. فى الاجتماع.. فى قضايا المجتمع.. فى العلم ودور العلماء فيه.. فى قصة الحضارة.. فى العبقرية والزعامة السياسية.. فى صلة الإسلام بالمسيحية.. فى رحلة العدل فى مصر.. أيضا فى الحب فى التراث العربى.

من هذه الكتب:

حديقة أبيقور – روضات الفردوس – الأدب الشعبى – أمثال الشرق والغرب – طوق الحمامة – الظرفاء والشحاذون – أشهر الرسائل العالمية – مع الخالدين – قصة الأدب فى العالم – اللغة واللون – كتب غيرت العالم – الفنون والإنسان – فن الحياة – أسرار الفن التشكيلى – الموسيقى والحضارة – قراءة فى الآثار – عالمنا المجنون – قصة الزواج – عالم النمل – النحل والطب – أسرار المخلوقات المضيئة – فن الولادة فى مصر القديمة – الطفل الموهوب – نافذة على المرأة – جدول الضرب فى حساب النجاح – أشهر عروس وأغلى عروس.

تراجم وأعلام: أبو الشهداء – ابن النفيس – ذو النون المصرى – حى بن يقظان – طومان باى – أسطورة محمد فريد.

ڤولتير – بيتهوڤن – تولستوى – بيرون – سقراط – تاجور.

أسماء وموضوعات وأعلام

آداب – فنون – علوم

حقائق – طرائف – رسائل – أسرار – انسانيات.

ألوان وألوان

لهذا قسمت هذه الموسوعة لتخرج فى أربعة مجلدات فليس يسيرا أن يضم هذا كله، كتاب واحد. بل كتب أتمنى أن تروق وتشوق

إنها سنوات من العمر

هذا العمل المضنى وإن كان عذابه، عذباً إنما هدفت به إلى تقديم مكتبة ثرية سرية إلى القارئ العربى فى مجالات شتى.. خلاصة مقطرة وكأنى أهديت الكتب نفسها التى يصعب العثور على بعضها وقد يصعب الوصول إلى لب البعض الآخر لعامل اللغة أو التخصص العملى البعيد عن التجريدات.

الصعوبات متعددة فهل أديت وأوفيت؟ لقد حاولت ولم يبق إلا:

القبول عند الله والوطن واللغة الأم والإنسان فى كل مكان من وطننا العربى الكبير،

د. نعمات أحمد فؤاد

القاهرة: ١٤١٨هـ
١٩٩٨م

كتاب
الله
تأليف
عباس محمود العقاد

الله

ألف هذا الكتاب أستاذنا عباس محمود العقاد.

وهو من عيون كتبه.

عندما يكون الكتاب لعملاق الفكر عباس محمود العقاد فهو الذى يقدمه.

يقول أستاذنا العقاد فى صدر الكتاب: (موضوع هذا الكتاب نشأة العقيدة الإلهية، منذ أتخذ الإنسان رباً إلى أن عرف الله الأحد، واهتدى إلى نزاهة التوحيد.

وقد بدأناه بأصل الاعتقاد فى الأقوام البدائية، ثم لخصنا عقائد الأقوام التى تقدمت فى عصور الحضارة، ثم عقائد المؤمنين بالكتب السنوية، وشفعنا ذلك بمذاهب الفلاسفة الأسبقين، ومذاهب الفلاسفة التابعين، وختمناه بمذاهب الفلسفة العصرية، وكلمة العلم الحديث فى مسألة الإيمان).

والفصل الأول عن (أصل العقيدة) وفيه حلل تاريخ الإنسان مع الدين وكيف ترقى الإنسان فى العقائد كما ترقى فى العلوم والصناعات: وفى رأيه أن محاولات الإنسان فى سبيل الدين لابد أن تكون أشق وأطول من محاولاته فى سبيل العلوم والصناعات، لأن حقيقة الكون الكبرى أشق مطلباً وأطول طريقاً من حقيقة هذه الأشياء المتفرقة التى يعالجها العلم تاره والصناعة تارة أخرى...

وفى حنان على حيرة الإنسان فى البدايات يرى الأستاذ العقاد أن الرجوع إلى أصول الأديان فى عصور الجاهلية الأولى لايدل على بطلان التدين، ولا على أنها تبحث عن محال ولكن كل ما يدل عليه أن الحقيقة الكبرى أكبر من أن تتجلى للناس كاملة فى عصر واحد.

وقف الأستاذ/ العقاد عند العصور السحيقة والأساطير ثم عرض لدور ملكة الاستحياء ثم ضعف الإنسان أمام الطبيعة وهو الضعف الذى يعلل به الأكثرون من ناقدى الأديان، العقيدة الدينية بين مظاهر الكون وأعداء الإنسان فيه من القوى الطبيعية والأحياء فلا غنى له عن سند يبتدعه ابتداعا ليستشعر الطمأنينه بالتعويل عليه، والوجه إليه بالصوات فى شدته وبلواه... كما عرض لرأى طائفة من علماء الإنسان فى «الطوطم» والدين ويظنون أن الطواطم هى طلائع الأديان بين الهمج الأولين..

وقد تحقق أن شعائر الطواطم منتشرة بين مئات القبائل الهمجية فى استراليا وافريقية والأمريكتين وبعض أقطار القارة الآسيوية وجزائرها.

وقد وقف عند (ماكس موللر) باعتباره صاحب الرأى المعدود في اشتقاق اللغات ومعانى الأساطير وعلاقتها بالعقائد والعبادات، فهو يؤمن بأن «البصيرة» هبة عريقة فى الإنسان، واننا كما قال – فى كلامه على مقارنة الأساطير – «مهما نرجع بخطوات الإنسان إلى الوراء لن يفوتنا أن نتبين أن منحة العقل السليم المستفيق كانت من خصائصه منذ أوائل عهده وأن القول بإنسانية متسلسلة علي التدريج من أعماق البهيمية انما هو قول لن يقوم عليه دليل».

ومصداقا لهذا الرأى يرجع موللر أن الإنسان قد تدين منذ أوائل عهده لأنه أحس بروعة المجهول وجلال الابد الذى ليس له انتهاء، وأنه مثل لهذه الروعة بأعظم ما يراه فى الكون وهو الشمس التى تملأ الفضاء بالضياء، فهى محور الأساطير والعقائد كما ثبت له من المقابلة بين اللغات واللهجات.

واذا قيل لموللر أن «الابد» أو اللانهائية معني لاتوجد له كلمة فى اللغات الهمجية ولا الحضارة الأولى قال إن الاحساس بالمعانى يسبق اختراع الكلمات، وقدثبت أن الانسان الأول لم يضع فى لغاته كلمات لبعض الألوان.

وبهذا يكون الكتاب قد غطى أهم الفروض التى خطرت على الأذهان فى تعليل العقيدة الدينية، أو تعليل نشأتها الأولى.

أما أطوار العقيدة فهى كما يعرفها علماء المقابلة بين الأديان ثلاثة أطوار عامة مرت بها الأمم البدائية فى اعتقادها بالآلهة والأرباب وهى:

* دور التعدد

* دور التمييز والترجيح

* دور الوحدانية

لكن الأديان الكتابية، بعد كل هذا، هي كما يقول الاستاذ العقاد هى التى بلغت بالتوحيد غاية مرتقاه وعلمت الناس شيئا فشيئا عبادة الاله «الاحد» الذى خلق الوجود من العدم ووسعت قدرته كل موجود فى السماوات والأرضين، ولم يكن له شريك فى الخلق ولا فى القضاء. ويقول : (**أغلب الظنون المدعمه بالقرائن المعقولة أن مصر بدأت بتوحيد الدين كما بدأت بتوحيد الدولة...** فالمؤرخ هيرودوت القديم يقول أن الاغريق تعلموا أمور الدين من المصريين، والسيراليوت سميث – وهو مرجع موثوق به فى تاريخ مصر – يقول إن شعائر الهند القديمة فى الجنائز نسخة محكيه من كتاب الموتى، وتفرق الديانات معقول فى الدول الأخرى ولكنه غير معقول فى قطر يجري فيه نيل واحد ويتحد وجهاه قبل خمسة آلاف سنة على أقل تقدير...) ص ٢٨

ويقول مرة أخرى إن عبادة «اتون» هى أرقى ما وصل إليه البشر من عبادات التوحيد فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد.. فلم يكن المراد بأتون قرص الشمس ولانورها المحسوس بالعيون، ولكن الشمس نفسها كانت رمزا محسوسا للإله الواحد الأحد المتفرد بالخلق فى الأرض والسماء... وإنما جاء هذا الطور بعد تميهدات دينية وسياسية تهيأت لمصر ولم تتهيأ لغيرها من الدول الكبرى فى تلك الفترة.

واتسعت الدولة المصرية فى عهد تحتمس الثالث. واقترن اتساع الأفق فى السياسة باتساع الأفق فى تصور العالم وما ينبغى لخالقه من التعظيم والتنزيه، فارتقى الفكر الإنسانى فى هذا العهد من البيئة المحلية إلي بيئة عالمية، ثم إلى بيئة أبديه تنطوى فيها أبعاد المكان والزمان.

ومن صلوات اخناتون تعرف صفات الله الذى دعا إلى عبادته دون سواه، فإذا هى أعلى الصفات التى ارتقى إليها فهم البشر قديما فى ادراك كمال الإله.

فهو الحى المبدىء الحياة، الملك الذى لاشريك له فى الملك، خالق الجنين وخالق النطفة التى ينمو منها الجنين، نافث الانفاس الحية فى كل مخلوق بعيد بكماله قريب

بآلائه، تسبح باسمه الخلائق على الأرض والطير فى الهواء، وترقص الحملان من مرح فى الحقول فهى تصلى له وتستجيب لامره، ويسمع الفرخ فى البيضة دعاءه فيخرج إلى نور النهار واثبا على قدميه قد بسط الأرض ورفع السماء وأسبغ عليهما حلل الجمال، وهو ملء البصر وملء الفؤاد، وهو هو الوجود، وواهب الوجود وشعوب الأرض كلها عبيده لأنه هو الذى أقام كل شعب فى موطنه ليأخذ نصيبه من خيرات الأرض ومن أيام العمر فى رعاية الواحد الأحد.

وهنا مضى يقارن بين سبحات اخناتون وين ما يقابلها من المزامير.

هنا اعتبار أن التوراه لم تكتب إلا بعد وفاة موسي بزمن بعيد وعلى مدي ألفى سنة فى تقدير باحثين شرقيين وغربيين مثل العالم (ديقو) الذى كتب مقدمة (سفر التكوين) ومثل العالم بوكاي الذى أثبت أن التوراه صححت وحورت وعدّلت فى عصور مختلفة وفقا لأغراض أصحابها.

وقد عقد كل من هنري برستيد وارثر ويجال Weigall مقارنة بين صلوات اخناتون وبين المزامير خاصة من المزمور ١٠٤ – ١٢٤.

ومن المحقق ان بنى اسرائيل أخذوا كثيرا من عقائد المصريين وشعائرهم قبل عهد اخناتون بعدة قرون، وبعده بعدة قرون. بل إن العالم «فرويد» وهو يهودى فى كتابه (موسى والوحدانية) انتهي من مقابلاته وفروضه إلى تقرير رأيه المرجح لديه وهو أن موسي تربى بمصر فى كنف الوحدانية واستعد للنبوة فى هذه البيئة الموحدة بل قال فرويد جملته المشهورة (إن عقدة اليهود سبق مصر في الحضارة).

ومروراً بالديانات القديمة فى الهند – والصين – وفارس – وبابل واليونان وقف بالتحليل عند كل أمة ممن ذكرنا نكتفى بإشارات من بين تفاصيل كثيرة.

فالهند تعززت فيها (عبادة «الطواطم، بعقيدتهم فى وحدة الوجود وتناسخ الأرواح كما تعززت بعقيدة الحلول.

والصين على كثرة العبادات التى دانت بها – ولا تحسب من أمم الرسالات الدينية كمصر وبابل والهند وفارس وبلاد العرب وفلسطين لأنها أخذت من الخارج قديما وحديثا عقائد البوذية والمجوسية والاسلام والمسيحية ولم تعط أمة عقيدتها، مع استثناء اليابان التي أخذت عنها نحلة «كونفشيوس».

والأقدمون من الفرس يلتقون مع الهند في عبادة (مترا) اله النور وإن اختلفوا في إطلاقه على عناصر الخير والشر فجعله الفرس من ارباب الخير والصلاح وجعله الهند من ارباب الشر والفساد.

والبابليون عرفوا عبادة (مترا) فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ورفعوه إلى المنزلة العلية بين الآلهة التى تحارب قوى الظلام.

وعُرِفَ فى فارس «زرادشت» وإن كان لا يعرف له تاريخ مفصل على التحقيق. وليست المجوسية كلها من تعليم زرادشت أو تعليم كاهن واحد من كهان الامة الفارسية فقد سبقه الفرس إلى عقائدهم فى أصل الوجود وتنازع النور والظلام ولكنه تولى هذه العقائد بالتطهير وحملها على محمل من التفسير والتعبير.

أما **بابل** فيرى الأستاذ العقاد أنها على قدمها لم يكتب لها أن تؤدى رسالة ممتازة فى تاريخ الوحدانية، فكل ما أضافته إلى هذا التاريخ يمكن أن يستغنى عنه ولا تنقص منه بعد ذلك فكرة جوهرية من أفكار التوحيد والتقديس لأن الوحدانية تحتاج إلى تركيز وتوحيد» لا يستتبان طويلاً فى أحوال كأحوال الدولة البابلية.

أما تاريخ العقيدة فى بلاد اليونان فقد حفل بجميع أنواع العقائد البدائية قبل أرباب «الأليمب» الذين خلدوا فى أشعار هومير وهزيود. فعبدوا الأسلاف والطواطم ومظاهر الطبيعة ومزجوا هذه العبادات جميعا بطلاسم السحر والشعوذة واستمدوا من جزيرة «كريت» عبادة النيازك وعبادة حجارة الرواسب التى شاعت بين أهل الجزيرة من أقدم عصورها البركانية.

وقد كان أرباب الأوليمب فى مبدأ أمرهم يقترفون أقبح الآثام ويستسلمون لأغلظ الشهوات وينتهى حديث الأستاذ العقاد عن اليونان بأنهم فى مجال العقيدة يمكن أن يقال (أن اليونان أخذوا فيها كل شئ ولم يعطوا شيئاً يضيف إلى تراث البشر فى مسائل الايمان، وأنهم حين بدأوا عصر الفلسفة كان أساسها الأول ممهدا لهم فى العقائد التى أخذوها عن الديانات الأسيوية والمصرية، وأنهم ظلوا بعد الفلسفة يدينون بالوثنية التى كانوا يدينون بها قبل الميلاد بعدة قرون) ص ٩٧.

والآن نقف طويلا عند باب (الله فى الأديان السماوية).

وفى هذا الباب يقول عن بنى اسرائيل أنهم (دانوا زمنا بعبادة الأسلاف كما دانوا بعبادة الأوثان بعد عودة ابراهيم عليه السلام وظهور الأنبياء، فعبدوا «عجل الذهب» فى سينا. بعد خروجهم من الديار المصرية وفى الإصحاح الثامن عشر من كتاب الملوك الثانى أن حزقيا ملك يهودا، (...أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى وسحق حية النحاس التى عملها موسى لأن بنى اسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها...)

وجاء في الاصحاح التاسع عشر من كتاب صموئيل الأول أن **أحدى زوجات** داود – ميكال – (أخذت الترافيم ووضعته فى الفراش ووضعت لبدة المعزى تحت رأسه وغطته بثوب).

والمعروف أن الترافيم أو الطرافين بصيغة الجمع هى تماثيل على صورة البشر تقام فى البيوت وتحمل فى السفر، ويرمز بها إلى الله.

ويقول الأستاذ العقاد إن اليهود (ظلوا إلى ما بعد أيام موسى ينسبون إلى الإله أعمال الإنسان وحركاته .. فذكروا أنه كان يتمشى فى الجنة وأنه كان يصارع ويأكل ويشرب ويخشى مركبات الجبال وأنه دفن موسى حينما مات فى موآب.

وقد خلت الكتب الاسرائيلية من ذكر البعث واليوم الآخر، والأرض السفلى، أو الجب، أو شيول وهى الهاوية التى تأوى اليها الأيتام بعد الموت ولا نجاة منها لميت «وأن الذى ينزل إلى الهاوية لا يصعد».

(والغالب فى وصفهم للاله أنه غيور شديد البطش متعطش إلى الدماء سريع الغضب ينتقم من شعبه كما ينتقم من أعداء شعبه).

ويقول الأستاذ العقاد: (الثابت من تاريخ الديانة الاسرائيلية أنها انقلبت بعد عصر ابراهيم عليه السلام إلى وثنية كالوثنية البابلية، وأن التوحيد الذى بشر به اخناتون فى مصر القديمة سابق لشيوع التوحيد فى شعوب اسرائيل، ولكن العقيدة الاسرائيلية عاشت بعد اختفاء عقيدة اخناتون وعصر موسى عليه السلام).

وفى فصل المسيحية يقول الأستاذ العقاد إنه لما ولد السيد المسيح السلام .

والأرجح أنه ولد قبل التاريخ المشهور بأربع سنوات – كان كل ما فى الشرق ينبئ برسالة مرتقبة وإعتقاد جديد...

كانت الفلسفة فى ذلك العصر قد أوفت على غايتها، وأطلعت أعظم أعلامها وأكبر مدارسها. وشاعت فى البلاد الفينيقية على الخصوص... لأن هذه البلاد كانت منشأ الرواقيين السابقين وكانت على اتصال دائم بآسيا الصغرى من جهة وبالاسكندرية من جهة أخرى، وهى يومئذ قبلة الفلاسفة والحكماء.

ومن هؤلاء الفلاسفة من بشر بالكلمة الإلهية وقال إن هذه الكلمة – ويعنى بها العقل الآلهي – هى مبعث كل حركة ومصدر كل وجود .. ومنهم من قال إن الحب هو أصل جميع الموجودات ومساك جميع الأكوان، ومنهم من وعظ بالنسك والعفة وأوصى بالشفقة على الإنسان والحيوان وحرم ذبحه وزعم له روحا كانت تعقل فى حين مضى وستعود إلى العقل بعد حين.

وليس أدل على تهيؤ الجو للرسالة الجديدة من التمهيد لها فى نطاق الفلسفة ونطاق الديانة فى وقت واحد.. فكانت دعوة «يوحنا المعمران» تقابلها دعوة «فيلون» وقد تأثر «فيلون» بالأسكندرية فقد ولد فى مصر قبل ميلاد المسيح بعشرين سنة كما تأثر بعقيدة اوزوريس التى تفرعت فى أثينا وبومبى وروما وبعض الموانىء الآسيوية وكانت لها مراسم أولها صلاة القبول يطلب فيها المرء، الخلاص من أوهاق الجسد وخبائث الشهوات ويعتبر بعدها من الواصلين إلى حظيرة الرضوان.

أعلى السيد المسيح من الضمير فقد جعله كفؤا للعالم بأسره بل يزيد عليه:

(ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه).

(ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة من كلمات الله).

(إن الله محبة وإن أقرب الناس إلى الله من أحب الله وأحب خلق الله، ومنهم المطرودون والعصاه، ولايستحق غفرانه من لم يتعلم كيف يغفر للمسيئين إليه).

وظهر الإسلام بعد ستة قرون من مولد المسيح تشعبث خلالها المذاهب المسيحية وتسربت إلى الجزيزة مذاهب اليهودية.. وكانت جزيرة العرب على اتصال لاينقطع بالفرس ومن جاورهم من أمم المشرق.. ودان **قليل من العرب** بهذه الديانات على أوضاعها الكثيرة التى يندر فيها الإيمان بالوحدانية.

فلما ظهر الاسلام فى الجزيرة العربية، كان عليه أن يصحح أفكارا كثيرة لا فكرة واحدة عن الذات الإلهية وكان عليه أن يجرد الفكرة الإلهية من أخلاط شتى من بقايا العبادات الأولى وزيادات المتنازعين على تأويل الديانات الكتابية.

يقول الأستاذ العقاد:

اذا كانت المسيحية أول دين أقام العبادة على «الضمير الانساني» وبشر الناس برحمة السماء - **فرسالة الإسلام التى لا التباس فيها** أنها أول دين تمم الفكرة الإلهية وصححها مما عرض لها فى أطوار الديانات الغابرة).

ويرفض الإسلام، الأصنام على كل وضع من أوضاع التمثيل أو الرمز أو التقريب. والله المثل الأعلى من صفات الكمال جمعاء، وله الأسماء الحسنى.. فلا تغلب فيه صفات القوة والقدرة علي صفات الرحمة والمحبة، ولا غلب فيه صفات الرحمة والمحبة على صفات القوة والقدرة فهو قادر على كل شيء وهو عزيز ذو انتقام، وهو كذلك رحمن رحيم وغفور كريم.. قد وسعت رحمته كل شيء.. و (يختص برحمته من يشاء) وهو الخلاق دون غيره و(هل من خالق غير الله؟)

فليس الإله فى الاسلام مصدر النظام وكفى، ولا مصدر الحركة الأولى وكفى، ولكن (الله خالق كل شيء).. و (خلق كل شيء فقدره) و (أنه يبدأ الخلق ثم يعيده) و (هو بكل خلق عليم).

ومن صفات الله فى الإسلام ما يعتبر ردا على (فكرة الله) فى الفلسفة الأوسطية كما يعتبر ردا على أصحاب التأويل فى الأديان الكتابية وغير الكتابية.

فالله عند ارسطو يعقل، ذاته ولا يعقل ما دونها، ويتنزه عن الارادة لأن الارادة طلب فى رأيه.. والله كمال لا يطلب شيئاً غير ذاته، ويجل عن علم الكليات والجزئيات لأنه يحسبها من علم العقول البشرية، ولا يعنى بالخلق رحمة ولا قسوة..لأن الخلق أحرى أن يطلب الكمال بالسعى اليه.

ولكن الله فى الإسلام (عالم الغيب والشهادة) و..(لا يعزب عنه مثقال ذرة) وهو بكل خلق عليم (وما كنا عن الخلق غافلين) ...(وسع كل شئ علما) .. (له الخلق والأمر) ... (عليم بما فى الصدور) ... وهو كذلك مريد وفعال لما يريد.

(وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان)

وقد أشار القرآن الكريم إلي الخلاف بين الأديان المتعددة فجاء فيه من سورة الحج: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة، إن الله علي كل شئ شهيد) وأشار إلى الدهريين فجاء من سورة الأنعام: (وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) وجاء فيه من سورة الجاثية:

(وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون).

فكانت فكرة الله فى الإسلام **هى الفكرة المتممة** لأفكار كثيرة موزعة فى هذه العقائد الدينية .. وفى المذاهب الفلسفية التى تدور عليها.. ولهذا بلغت المثل الأعلى فى صفات الذات الالهية وتضمنت تصحيحا للضمائر وتصحيحا للعقول فى تقرير ما ينبغى لكمال الله، بقسطاس الايمان وقسطاس النظروالقياس.

ومجمل ما يقال فى عقيدة الذات الإلهية التى جاء بها الإسلام أن الذات الإلهية غاية ما يتصوره العقل البشرى من الكمال فى أشرف الصفات.

فالله هو (المثل الأعلى).

وهو الواحد الصمد الذى لا يحيط به الزمان والمكان وهو محيط بالزمان والمكان و(هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ... (وسع كرسيه السموات والأرض) ... (إلا أنه بكل شئ محيط).

وقد جاء الإسلام بالقول الفصل فى **مسألة البقاء والفناء**.

فالله (هو الحى الذى لا يموت) .... (وهو الذى يحيى ويميت) و (وكل شئ هالك إلا وجهه) ... ولا بقاء على الدوام إلا لمن له الدوام. ومنه الابتداء وإليه الانتهاء.

وقد تخيل بعض المتكلمين فى الأديان أن هذا التنزيه البالغ يعزل الخالق عن المخلوقات، ويبعد المسافة بين الله والإنسان ... وإنه لوهم فى الشعور وخطأ فى التفكير كما يقول الأستاذ العقاد لأن الكمال ليست له حدود، وكل ما ليست له حدود فلا عازل بينه وبين موجود... وفى القرآن الكريم (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) ... (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد).

وما أروع قول أستاذنا العقاد بعد طوافه الكبير، فى عبارة كأنها تقطير بستان من الأزهار فى قارورة عطر يضوع فيها السطر ويفوق ... يمتع ويشوق .. يقنع بما هو جواب وفصل الخطاب.

هذه كلمات العقاد العقل والفكر والقلم:

(ولاشك أن العالم كان فى حاجة إلى هذه العقيدة كما كان فى حاجة إلى العقيدة المسيحية من قبلها، وتلقى كلتيهما فى أوانه المقدور .... فجاء السيد المسيح بصورة **جميلة** للذات الالهية وجاء محمد عليه السلام بصورة (**تامة**) فى العقل والشعور.

وربما تلخصت المسيحية كلها فى كلمة واحدة هى **الحب**.

وربما تلخص الاسلام فى كلمة واحدة هى (الحق).

(ذلك بأن الله هو **الحق**) ... (إنا أرسلناك بالحق بشيراً) ... (فتعالى الله **الحق**) ... (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير **الحق** ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل).

ومن ملاحظة الأوان فى دعوات الأديان، أن المسيحية دين الحب **لم تأت بتشريع** جديد، وأنّ الاسلام دين (الحق) **لم يكن له مناص من التشريع**.

فما كان الناس عند ظهور السيد المسيح بحاجة إلى الشرائع والقوانين، لأن شرائع اليهود وقوانين الرومان كانت حسبهم فى أمور المعاش كما يتطلبها ذلك الزمان. وإنما كانت آفتهم فرط الجمود على النصوص والمراءاة بالمظاهر والأشكال فكانت حاجتهم إلى دين سماحة ودين اخلاص ومحبة، فبشرهم السيد المسيح بذلك الدين.

ولكن الإسلام ظهر وقد تداعى ملك الرومان وزال سلطان الشرائع الاسرائيلية، وكان ظهوره بين قبائل على الفطرة لا تترك بغير تشريع فى أمور الدنيا والدين يزعها بأحكامه فى ظل الحكومة الجديدة ويوافق أطوارها كلما تغيرت مواطنها ومواطن الداخلين فى الدين الجديد.

والعبرة بتأسيس المبدأ فى حينه، ولم يكن عن تأسيس المبدأ فى ذلك الحين من محيد.

وإذا بقى الايمان بالحق فقد بقى أساس الشريعة لكل جيل فى كل حال.

وتتالت فصول الكتاب بعد هذا عن (الله فى مذاهب الفلاسفة السابقين) و (الله فى آراء الفلاسفة المعاصرين) و (المسألة الالهية فى رأى العلم الحديث).

وخاتمة المطاف أن الحس والعقل والوعى والبديهية جميعا تستقيم على سواء الخلق حين تستقيم على الايمان بالذات الالهية، وان هذا الايمان الرشيد هو خير تفسير لسر الخليقة يعقله المؤمن ويدين به الفكر ويتطلبه الطبع السليم.

كتاب (الله) للأستاذ العقاد

الله ... الله

القاهرة فبراير ١٩٩٧

كتاب
التكافل الاجتماعى
فى الإسلام

تأليف
الشيخ محمد أبو زهرة

التكافل الاجتماعى فى الإسلام

هذا هو موضوع كتاب اليوم أو خط عريض من خطوط الشريعة الإسلامية. كتاب (التكافل الاجتماعى فى الاسلام) لمؤلفه الأستاذ الجليل الشيخ (محمد أبو زهرة) تعميق لمفهوم التضامن الاجتماعى على ضوء الشريعة الغراء بأسلوب علمى «فكم من كتب عالجت الاشتراكية» ولكنه علاج مرسوم بمعنى أن أصحابها عندهم فكرة جاهزة يريدون سندا لها من الدين أو تطبيقا سابقا. وهنا يضطرون إلى افتعال التخريج والتفسير مع أن الاشتراكية الحقة معنى إنسانى نبيل إذ يستهدف تحرير الإرادة الإنسانية من رق الاستغلال والاضطرار والقهر والتبعية، ولكن الشيخ (محمد أبو زهرة) يستهدف استاذا لمادة الشريعة الإسلامية يعرف جوهرها ومراميها وأسرار حكمتها فهو يعرفنا بها تعريف المتمكن المصدق ويناقش على هديها مختلف الآراء والنظريات والمذاهب ثم يرجح ما يلتقى مع روحها منه فى جهارة الحق لا تعرف موارية أو جمجمة فالكتاب من هذه الناحية (ثقة) يعتد به، وما بالقليل أو الهين الشأن أن يكون الكاتب صادقا وأمينا.

استهل الأستاذ الجليل كتابه بالتنويه بضرورة «**الرأى العام**» فالإسلام (جاء لإيجاد مجتمع فاضل تتعاون فيه كل القوى بحيث لا يطغى فريق على فريق وأول مظهر للمجتمع الفاضل فى الإسلام، هو وجود رأى عام فاضل يتعاون على الخير ودفع الشر...»ص ٩.

وأن الرأى العام له **رقابة نفسية** فإذا صلح هذب الآحاد والجموع وإذا فسد وتقاعس، فسد المجتمع. (وإن الجماعة كلها تكون آثمة إذا رأت الشر يسير رافعا رأسه وسكتت عنه..

وأن الأمة كلها تعتبر مشتركة مع الآثمين إذا رأت الإثم ولم تعمل على منعه، ولقد ذم القرآن الكريم بنى إسرائيل لأنهم أفسدوا مجتمعهم بترك الآثمين يرتعون فى إثمهم من غير أن ينهوهم.. «لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون»[١] -ص٩، ١٠

ووسيلة الاسلام إلى إيجاد مجتمع فاضل: الحياء، والاستتار، فالحياء قيد اجتماعى نفسى، والاستتار حصر للشر (قد تكون العقوبة علنية، ولكن الجريمة يجب ألا يعلم أمرها إلا مع عقوبتها لأن إعلانها يفسد الجو الخلقى.. للمجتمع.. ولذلك اعتبر الإسلام من يرتكب جريمة ويعلنها قد ارتكب جريمتين: جريمة الارتكاب وجريمة الإعلان)-ص١١)

ثم تكلم عن الفردية والجماعية فى الإسلام على ضوء النظامين السائدين فى العالم الآن وانتهى من حديثه بالقول: إن الإسلام (لا يأخذ بأى النظامين جملة أو تفصيلا، فهو لا يمحو حرية الإنتاج الفردى ولا يمكن تلك الحرية من كل شيء) (ص ١٤).

فحرية الإنتاج، والحرية الشخصية بكل ضروبها وحرية الملكية الفردية كلها كفلها الإسلام للفرد على ألا يضار الغير وإلا قيد الحق تقييدا مدنيا.

والعبادات فى الإسلام وإن كانت فى ظاهرها علاقة العبد بربه إلا أن الإسلام قصد بها فيما شرعت له، تربية الضمير الاجتماعى الذى يحكم الميول والنزعات قبل أن يحكمها القانون الوضعى الذى قد يوجد فى النفس ما يبرر مخالفته. فإذا لم تحقق العادات هذا الهدف البعيد غدت قشورا بلا جوهر وزيفا خادعا.

وفى ضوء هذا الفهم العميق مضى الشيخ محمد أبو زهرة يتحدث عن أركان - الإسلام من صلاة وصوم وحج وزكاة وتطرق من هذا إلى حكمة الإسلام فى الكفارات التى هى فى جوهرها تكافل اجتماعى.

ثم تحدث عن **الحرية الفردية** التى تكيفها **نفس** صاحبها بقيود الواجب قبل أن تقيدها قيود خارجية، **وشعوره** بحق الناس ووجوب مراعاة مشاعرهم. فإذا لم يتوافر القيدان الداخليان تدخل القانون لا لتقييد الحرية ولكن لتقييد الفهم الخاطيء لها.. لتقييد الانطلاق فيها بغير مراعاة حقها فإن الإطلاق المطلق مقيد للحرية العادلة.

(١) المائدة ٧٨، ٧٩

ثم تحدث عن **الملكية** باعتبارها (حق أعطاه الله تعالى وحده لعباده فى قيود وحدود) ص ٢٣ ، ولهذا يحترم حق صاحبها فلا تنزع منه.

وقد ناقش المؤلف العالم، الرأى القائل بأن الملكية وظيفة اجتماعية فأقر هذا التعبير على أن يعرف أنها (بتوظيف الله تعالى لا بتوظيف الحكام، لأن الحكام ليسوا دائما عادلين)ص ٢٣ ، ٢٤

ولكن ولى الأمر العادل (له أن يتدخل لتقرير القيود على الملكية إن لم يلاحظها المالك، وقد أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تدخل فمنع بقاء الملكية عند المضارة مع تعويض) ص ٢٤ .

وضرب المؤلف مثلا واقعة سمرة بن جندب مع الأنصارى فى حضرة الرسول، وقصة الضحاك ومحمد بن مسلمة فى مجلس عمر.

كما أوضح المؤلف نقطة هامة هى أن الملكية مع ما كفل لها الإسلام من ثبوت واحترام فإن الحقوق التى تجب عليها تتزايد فى الظروف القاهرة كالسفر أو المجاعة بما يقرب من إشاعتها وتعميمها تحقيقا للتكافل الاجتماعى الذى يستهدفه الإسلام فى أحكامه وعباداته على السواء. وهنا ضرب المؤلف مثلا (سنة الرمادة) فى عهد عمر ابن الخطاب) .

إن ملاك الرأى فى الملكية أنها حق للآحاد فى الحدود التى أشار إليها الدين، وهى بهذا (من قبيل احترام الشخصية الإنسانية، حتى لا يكون الآحاد كالجماد، ويكون البناء الاجتماعى كالأحجار بعضه بجوار بعضه من غير إرادة إنسانية.

إن الإسلام لم يأت لتنظيم الدولة فقط، او فرض سلطانها على كل شىء، بل جاء لإيجاد مجتمع تتلاقى فيه الإرادات الإنسانية الحرة نحو هدف واحد وهو إقامة مجتمع سليم قوى، لا تفنى فيه قوة أخرى) ص ٢٦ .

ثم فصل المؤلف البيان فى الأموال التى يجوز امتلاكها والتى لا يجوز فيها الامتلاك وهو تفصيل طويل مدعم بالأسانيد الفقهية وهو مع التدعيم يناقش ويرجح. ثم تكلم بتفصيل آخر عن ملكية الأراضى ومقدار قوة اليد عليها أهى يد اختصاص أم يد ملكية تامة. وقد رجع بأصول هذا الموضوع إلى عصر النبوة والفتح. وأبان وجوه الرأى فيه بعد النبى من خلفاء وفقهاء. ثم تحدث عن طرق كسب الملكية الأربعة من زرع وإحياء موات

الأرض، وعمل، ومخاطرة للكسب والخسارة ورابعها: الانتظار ووضح «كُلاً» مبينا حكم الإسلام فيها وهو حكم إقرار فيما يتعلق بالثلاثة الأولى، ومنع للرابع أى الانتظار لتعارضه مع التكافل الاجتماعى، غاية الاسلام الأولى.

ثم أنشأ فصلا مستقلا عن قيود الملكية المانعة مثل الضرر المؤكد الوقوع والضرر الذى يغلب على الظن وقوعه، والضرر الكثير غير الغالب. أما إذا كان الضرر الناجم عن الحق الخاص قليلا (فالحق باق على أصل المشروعية، لأن ضرر المنع ضرر مقطوع به بالنسبة لصاحب الحق، وهو صاحب الإذن الخاص **فلا يلتفت إلى الضرر القليل**.. والشرع الإسلامى في مقرراته اعتبر غلبة المصلحة ولم يعتبر ندرة الضرر أو قلته) ص٦٦.

وقد استند المؤلف فى هذا إلى كتاب (الموافقات) للشاطبى..

ثم تكلم الشيخ أبو زهرة عن ميراث الملكية فأبان أن (الحقوق فى الشريعة- الإسلامية تورث مادامت قابلة لأن تنتقل من ذمة إلى ذمة، وتخلف ذمة ذمة أخرى فى الأموال)ص ٦٧. وكيف أن النبى – صلى الله عليه وسلم – (عد المواريث نصف العالم الإسلامى) ص ٦٧.

كما أبان حكمة الشارع الإسلامى فى جعل الوراثة فى الأسرة مجتمعة مع أولوية بعضها على بعض وهى حكمة أجل وأكرم من نظرية الشيوعيين ونظرية الافراديين وكلاهما **اطراح للأسرة.**

ثم تحدث الشيخ الجليل عن عدالة التوزيع الإسلامى للميراث ومنطقه فيه... «أن نتمسك بالإسلام»

ثم انتقل الكتاب إلى الحديث عن التعاون لدفع أضرار العجز فالإسلام دين التكافل الاجتماعى عالج العجز فى الأسرة **بإلزام الوارث بالنفقة** ومن إنسانية الاسلام **وجوب النفقة مع اختلاف الدين إذا كانت نفقة الأصول والفروع** (المذهب الحنفى)

ومن أصالة الإسلام فى هذا الباب أن أوجب النفقة على الأسرة أو الدولة لطالب العلم **ذى الموهبة** التى (تمكنه من السير فيه إلى أقصى مراحله لأن المواهب يجب أن تظهر) ص ٧٤

ومن نبله فى هذا الباب أنه حين عرف من تجب عليه النفقة بأنه ذو اليسار الكسوب، لم يشترط أن يكون الولد بالنسبة لأبويه متيسرا لكى يجب أن يعينهما فى شيخوختهما بل الشرط فقط **القدرة على العمل** فمن لا يسوغ التأفف منهما لا يجوز تركهما جائعين.

ومن لفتات التقنين الإسلامى أن قضايا النفقات تكون من غير رسوم تدفع كما هو المقرر فى الفقه الإسلامى.

وكما أوجب الإسلام النفقة للعاجز على ذوى الفضل من أسرته فقد أوجبها على الأسرة الكبرى وهى المجتمع ممثلا فى الدولة إذا لم يكن فى القرابة قاصيها ودانيها من يستطيع الانفاق على الفقير العاجز. وهنا يقول المؤلف العالم.

(واذا لم تقم الدولة بواجبها فى ذلك فإن القضاء يحكم عليها ويلزمها كما قرر الفقهاء **وذلك مبدأ لم يُسبق به الاسلام)** ص ٧٦

ثم فصل الحديث عن (الزكاة) التى شرعت فى الإسلام فى السنة الثانية من الهجرة ومن مصادرها وأحكامها ومصارفها وهى ثمانية قال الإمام الشافعى بتوزيع الزكاة بينها بغير إغفال.

وفى كل ناحية لابد للفقيه الإسلامى من لفتة. ولفتته فى باب الزكاة أنها (تصرف فى البلد الذى جمعت فيه، ولا تنقل إلى غيره من بلاد الدولة الإسلامية إلا بما يفيض عن حاجات هذا البلد وما يفيض عن المجموع يصرف فى الجهاد فى سبيل الله)ص ٩٥ .

وفى الصفحات الأخيرة من الكتاب تحدث المؤلف عن ألوان من التكافل فى المجتمع الصغير كالبيت والحى والقرية. فأبان حرمة الجوار فى الإسلام وحب الإخاء حتى غدا الإخاء منذ لقاء المهاجرين بالأنصار، قرابة اجتماعية. ثم تحدث عن المبادىء التعاونية التى اقرها الإسلام ومنها تعاون أهل كل قرية فيما بينهم فى سداد الخراج وغيره وقد استنت مصر هذه السنة فى أول الفتح الإسلامى وقد أوضح المؤلف مزايا هذا النظام بل دعا إليه على أساس (أنه اختيارى توجيهى لا إجبار فيه يؤدى إلى ذهاب الأحقاد بين الزراع، فلا يحرق واحد زرع أخيه لأنه زرعه ولا يقتل ماشية أخيه لشعوره بالأخوة الكريمة من غير ما إكراه) ص ٩٩

وفى الختام تحدث عن الكفارات والنذور وألوان من الصدقات اللازمة والصدقات **المنثورة** والوقف.

وخير ما يقال فى الكتاب ما ختم به صاحبه القول. فهو (نظرات فى التكافل الإسلامى ويلاحظ أن فيها توزيعا لمصادر القوى فى الدولة بحيث لا تطغى فيها قوة على قوة، وفيها تمكن الجميع من أن يعملوا بمقدار طاقتهم مع احترام الحقوق الخاصة التى لم تتجاوز الحدود المرسومة من الشارع، ثم كان فيها التأمين الاجتماعى على أوسع مدى من غير إرهاق لأحد) ص ١٠٥.

وحسب الإسلام قدرة وصلاحية تأصيله هذه القواعد كلها على هدى الفطرة السليمة النقية وعلى ضوء صالح الفرد والمجموع.

كتاب
تأملات إسلامية فى
قضايا الإنسان والمجتمع

تأليف
دكتور رشدى فكار

تأملات إسلامية فى قضايا الإنسان والمجتمع

الكتاب للمفكر الإسلامى دكتور رشدى فكار

الكتاب رؤى إسلامية من أفق حضارى ومنظور علمي ينتهى الرأى والرؤية إلى الإقناع فى سهولة ووثوق.. وهذا هو المستوى الذى يجب أن يرتفع إليه الحديث فى الإسلام وعن الإسلام فكما روى عن رسول الله عليه السلام:

لا يشاد الدين أحد إلا غلبه إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى.

يضم الكتاب ستة فصول:

الفصل الأول عن الشباب وحرية الاختيار.. الاختيار بألوانه:

الاختيار العقائدى - الاختيار المعيشى - الاختيار فى بناء الأسرة بشريك أو شريكة الحياة - الاختيار السلوكى فى العلاقات الاجتماعية.

ويدور الفصل الثانى عن الإسلام بين دعاته وأدعيائه

وينعقد الفصل الثالث عن الماركسية والدين

ويناقش الفصل الرابع، السحر وما حوله وما له، وما عليه.

ويقف الفصل الخامس عند إنسان القرآن من خلال أبعاده الإسلامية.

ويطرح الفصل السادس قضية مخيفة حين يحدد «البغاء الوحشى» ويضع الإطار الوصفى له فى الغرب كنموذج.. كما يضع الإطار السببى.

فى هذا الكتاب قضية الشباب هى أزمة الاختيار بين مقومات تكوينه وما يقابلها عند الآخرين... بين حضارته وحضارة الآخرين... بين جوهر عقيدته والمدسوس عليها من مظاهر وسطحيات هى منها براء.

حرية الاختيار المعيشى بين التطلع إلى الرفاهية والملل منها.

حرية الاختيار السلوكى فى العلاقات الاجتماعية.

الشباب المصرى والعربى يواجه الآن عملية تعرية أو كما يقول الدكتور رشدى فكار عملية عراء كامل.. عراء للذات من الذات فالإيمان بالله يقود إلى الثقة بالذات. وهنا يتحتم على الدعاة المواجهة على مستوى الجوهر.

فالإسلام ليس لديه ما يخشاه أو يهابه.. ومن هنا يجب أن يدافع عنه أهله من خلال **حقائق موضوعية أصيلة ومسببة**.. وبفضل **قدرات فكرية واعية بحقيقة متناقضات العصر.**

وهنا يجب أن نقف وقفة طويلة.. فليس من ربط الشباب أو الناس بالإسلام، الحديث المكثف عن الحلال والحرام والجنة والنار وعقاب تارك الصلاة لأناس جاءوا المسجد يصلون.

إن الإرشاد يجب أن يكون متفتحا متحضرا وفى صوت هادىء رزين ورصين يشد الإصغاء ويستهوى السمع... ولن يتم هذا إلا من خلال كفاءات عالية أو كما يقول الدكتور رشدى «قدرات فكرية واعية بحقيقة متناقضات العصر».

وعليه كما يقول الكتاب (فالذين يحاولون أن يجعلوا من القرآن والسنة معامل ليكتشفوا فيها فيزيائيات وذريات وصواريخ، وأقماراً صناعية، يلتقون مع الذين يردون على أى محاجة بكلمة بيانية إنشائية وألفاظ رنانة تعتمد أولا وقبل كل شىء على رونق الكلمة ومناحيها البلاغية دون أن ترتفع إلى مستوى البرهنة والأصالة الفكرية والعملية. فكلا الطرفين لم يع واقع المواجهة فى القرن العشرين، وقدرة الإقناع).

ويقول: (**القرآن والسنة مبادىء كبرى أسمى وأخلد** من مجرد معامل تخطىء وتصيب تجريبيا **وأشمل وأقدس** وأعم وأعمق من مجرد ألفاظ يغرد بها للطرب أو تستذكر كرنين بياتى أو إيقاعى.

ويندد الدكتور رشدى **بالتقليد** دون وعى أو بصيرة. إننا كما يقول قد نلتمس العذر لمجتمع صناعى مندفع ساخن، أن تلجأ بعض فئات شبابه الى التهوية دون أن تؤثر فى حركته الشاملة كما هو الحال فى هيبية المجتمعات الصناعية الكبرى ولكن كيف نلتمس المعاذير لشباب مجتمعاتنا الفتية! أن تتبنى الهيبية والرفض والملل فى مجتمعاتنا وهى أساسا فى ركودها تعيشها فى شكل طبيعى كشمول فرض عليها خلال فترات الاستعمار،وقد آن الأوان للخروج منها، إن مثلها آنذاك كمثل الذى يريد أن يستريح من الراحة.

وفى حديثه عن **الرفاهية**، يرى **الوسطية** هى الحل الأفضل للحياة الكريمة وسطية الرفاهية تعطى لنا حقيقة التذوق وصدق المشاعر بها لأن المغالاة والمبالغة كالحرمان قد تمنع من التذوق.

وفى حديثه عن إنسان القرآن تكلم عن **القوامه** والريادة (قد سلمنا بذلك فى الجيوش فى القوافل، فى المراكب، فى الدول، فى الإدارات، ولا نسلم به فى الأسرة ليكون لها رائد قوام. ومن هنا يكون الفهم السليم للآية «الرجال قوامون على النساء» هو قوام رائد وليس بمتسلط جبار على المرأة ولو أراد القرآن ذلك لقال : الرجال أسياد على النساء.

وأضيف هل الرئيس فى مصلحة، معناه سيد وعبيد أو علوية ودونية إنها عملية تنظيم. بدليل قول الرسول عليه السلام: إذا كنتم ثلاثة فأمّروا عليكم واحدا، مرة أخرى عملية أسلوب تحرك... و أضيف أيضا هل عملية أن تعطى المرأة وحدها «إنساناً» أى تلد طفلا ثم تشكل هذا الطفل تشكيلا سليما جسما وعقلا، بالشىء القليل إنها **صناعة الإنسان** التى لا يعدلها شىء. ومع هذا لا تجعل منها المرأة سببا للاستعلاء... إن العلاقة بين المرأة والرجل قوامها المودة والرحمة وإنسانية وارفة الظلال لا استعلاء فيها.

وقد طرح الأستاذ رشدى فكار فى الفصل السادس **قضية البغاء الوحشى أى الالتقاطى** بلا مقدمات على ضوء الرفاهية وغيبة القيم وأنه لا يعالج بالوعظ ولكن يدرس موضوعيا كبقية الظواهر الاجتماعية فإن أسوأ ما فيه أنه لم يعد نتيجة لقسوة الضرورة تزاوله فئات محددة على مستوى الفاقة وإنما ارتبط بموجة التحلل مع ضعف مشاعر التسامى والرغبة فى التغيير والتبديل السائد فى المجتمعات الصناعية: تغيير طراز اللباس كل عام وتغيير العربات وتغيير طراز قص الشعر.

إنه تيار التغيير والتغيير السريع حتى فى شكل المدن وأبنيتها.. العلاقات والقيم والأفكار والمبادىء. كل شىء يباع ويشترى فى سوق الاستهلاك) .

فى هذا البحث جداول علمية مذهلة تستحق الدراسة والوقوف عندها طويلا لأنها مؤشرات إلى كثير خطير.. جداول من حيث **الحالة المدنية - السن- الثقافة- المهنة- بداية الانحدار- التوقيت- المكان- البنية الأسرية - الحالة الصحية** جسديا ونفسيا- **الوضع القيمى** روحيا **وأخلاقيا ومعنويا وسلوكيا** بما يشكل من مقاومة داخلية ومناعة ذاتية أمام مبررات الاستهواء... وتشمل الجداول، **الوضع الطبقى حسب الدخل**

[لئن كان العامل الاقتصادى يشكله التسلط الإشباعى الغرائزى والبحث عن الرفاهية الاستهلاكية، بما لا يتناسب مع الدخل، **فالعامل القيمى يعنى اهتزاز أرضية المعايير الروحية والأخلاقية**، مبادئية كانت أم معنوية أم سلوكية، مما أدى الى فقدان التوازن والتعادل فى داخل ذات انسان القرن العشرين].

إنسان القرن العشرين غدا إنسانا ممزقا يعيش بالمهدئات والمقويات يعانى أمراض الرفاهية من غش وخداع وملق ورياء وكذب ونفاق وتذبذب كل ذلك فى سبيل إقناع وقتى لغريزة أو اقتناء لسلعة زائلة.

هذا بينما الإنسان القديم والوسيط حين يرتفع به مستوى الحياة لا يغريه بالتبديل: السرير هو السرير والبيت هو البيت والدابة كما هى **فليس لكل عام طراز من الدواب** كالدواب الميكانيكية الآن. لقد أصبحت **الموضة** داء العصر حتى استعبد الإنسان بما صنعت يداه.

وحيث إن الطرق المشروعة تتطلب الأناة وتحتاج إلى العمل والصبر، وهذا لا يتمشى مع سرعة العصر فلتكن إذاً الطرق غير المشروعة هى المنطق!!.

أصبح طابع العصر الاستيلاء على ما عند الآخرين مع **شكرهم له!!** سواء أكان فردا أم **دولة عظمى**.

وبعد: فإن المساحة المحدودة والمحدده لى تضطرنى الى أن أترك فصولا كاملة من هذا الكتاب القيم حقيقة. بعض هذه الفصول فيه إشراقات ذهن وومضات روح.. والبعض الآخر فيه براعة تدليل ونصاعة حجة وعمق بنية كفصل (الدين والماركسية).... ولكن حسبى ما عرضته من هذا الكتاب مؤشرا إلى ما أرجأته منه.

كتاب (تأملات إسلامية فى قضايا الإنسان والمجتمع) كتاب للقراءة مرات.

كتاب
دراسات في
التاريخ الإسلامي
تأليف
دكتور جمال الدين الشيال

دراسات فى التاريخ الإسلامى

ألف هذا الكتاب الدكتور جمال الدين الشيال أستاذ التاريخ الإسلامى وعميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية، سابقا.

هذا الكتاب مجموعة أبحاث تدور حول أحداث تاريخية كبرى أو شخصيات تاريخية مؤثرة فاعلة.

ويستهل الكتاب ببحث عن (محمد المصلح الثائر)

لا يختلف اثنان على أن رسول الإسلام، عليه السلام، علامة مضيئة تشكل نقطة تحول فى تاريخ الإنسان قال بهذا معنا، حتى الذين لم يعتنقوا الإسلام.. ومن هؤلاء ارنست هيجل فى كتابه (لغز العالم) ومثل «روبرت بريفالت» فى كتابه (تكوين الإنسانية)

كان النبى عليه السلام صاحب رسالة يعرف ما تتطلبه من تضحيات فحملها مؤمنا بها قويا صلبا لا تلين له قناة.. ويشفق عليه عمه فيقول: (والله ياعمى، لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه

يقول المؤلف الدكتور جمال الدين الشيال:

[كان أول عمل قام به محمد صلى الله عليه وسلم بعد وصوله إلى المدينة أن أصدر «الكتاب» أو «الصحيفة» هو أشبه بما نسميه اليوم «بالدستور» فهذا «الكتاب» أو هذه «الصحيفة» هى دستور المدينة الأول، وأول وأهم ما جاء فيه قوله عليه السلام.

وهذا كتاب من محمد النبى بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم: إنهم أمة واحدة من دون الناس».

فهذا أول مبدأ من مبادىء الصحيفة، مبدأ الوحدة، مبدأ تكوين أمة واحدة تضم المؤمنين من قريش ويثرب أى من المهاجرين والأنصار، ثم يترك هذا المبدأ باب الوحدة مفتوحا يدخل فيه كل من شاء ممن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، وقد اتسع هذا النص مع الزمن حتى شمل العالم الإسلامى كله، فأصبح المسلمون جميعا يكونون– تحقيقا لهذا النص– أمة واحدة من دون الناس].

أقول وحين صارت للإسلام دولة لم يعرف التمايز بل كانت دولته، دولة الأمة الواحدة يتنقل المسلمون فى أنحائها فى ظل دستور واحد هو القرآن الكريم... المكان فيها للكفاءة وحسن السيرة (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فيتولى «ابن خلدون» القضاء فى القاهرة، ويسعى إلى، إمام مصر الليث بن سعد، الأئمة من سائر أنحاء الوطن الاسلامى.

وتثير انتصارات الإسلام بعض المؤرخين فيعزونها إلى أسباب اقتصادية تتصل بطبيعة الصحراء القاحلة.. وقلة حظها من الغنى والوفرة.. ونسوا أن الإسلام بدلهم تبديلا وطهرهم تطهيرا ووحدهم وأرسى بينهم قيما جديدة لا يضل من اتبعها حتى أعداء الإسلام فطنوا إلى هذا فحاربوه حتى فى حالات الضعف السياسى لدوله لأنهم يوقنون أن التمسك به هو القوة الحقيقية... هو الرافعة الوجدانية التى تنتع من الحضيض إلى ذرى القيمة، وترفع من الوهاد إلى إشراقة القمة.

ومن موضوعات الكتاب: (الاحتفال بوفاء النيل فى مصر الإسلامية) وكان يسمى (كسر الخليج)...

وهذا الاحتفال يلتقى عنده مؤرخو مصر الإسلامية فى احتفاء بالغ فيقول المقريزى.

(يوم معدود، ومقام مشهود، ومجتمع خاص، يحضره العام والخاص) ويقول عنه القلقشندى:

(يوم مشهود، وموسم معدود، ليس له نظير فى الدنيا.. وفيه تكتب البشارات بوفاء النيل إلى سائر أقطاب المملكة).

ويقول السيوطى:

(جـرت العـادة كل سنة إذا وفى النيل أن يرسل السلطان بشـيـرا بذلك إلى البـلاد، لتطمئن قلوب العباد، وهذه عـادة قديمة، ولم يزل كتاب الإنشاء ينشئون فى ذلك الرسائل البليغة).

ويورد السيوطى بعد ذلك أربع رسالات فى هذا المعنى: إحداها من إنشاء القاضى الفاضل، والثانية من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبدالظاهر والثالثة كتبها الصلاح الصفدى، والرابعة كتبها الأديب تقى الدين أبو بكر بن حجة.

ومن أقدم من وصفوا احتفال وفاء النيل، ابن رست (جغرافى عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى- التاسع الميلادى) فى كتابه «الأعلاق النفيسة» وهذا الوصف يبين جمال الاحتفال وبساطته فى أول العهد، فقد كان الموكلون بمقياس النيل يرقبون الزيادة إصبعا إصبعا، وذراعا ذراعا، فإذا وفى وأوفى ساروا فى موكب جليل الى المسجد الجامع، مسجد عمرو بن العاص يحملون الزهور والرياحين ويقفون هناك حلقات حلقات يعلنون وفاء النيل ويشكرون الله وتتناثر الأزهار على نغمات الأناشيد والأغانى... كان النيل يزخر فى ذلك اليوم **بألف مركب** والناس فوقها يضجون بالفرح.

يقول المؤلف: وكانت الحفلات التى تقام والمهرجانات التى تعقد ابتهاجا وسرورا بوفاء النيل فى عهد الفاطميين بالغة الحد الأقصى من الجمال والبهجة والروعة والأناقة، وأهم هذه المواكب موكبان: أحدهما لتخليق المقياس عند وفاء النيل، والثانى لكسر الخليج وبينهما ٣ أو ٤ أيام، وكانت الدولة كلها خليفتها ووزراؤها، وقضاتها وقوادها وفقهاؤها وشعراؤها وفنانوها وموسيقيوها وقبل هؤلاء شعبها... كان هؤلاء جميعا يشتركون فى هذه المواكب الحافلة، فلا غرو أن قامت للآداب والفنون دولة عظيمة الشأن فى هذا العصر ولا غرو أن رضى الشعب المصرى عن احتفال نابع من قلبه الذى يجرى فيه النيل.

نأتى إلى الشخصيات التاريخية التى حفل بها الكتاب

الشيخ محمد عياد الطنطاوى

وهو معاصر للشيخ رفاعه الطهطاوى وبينهما **رسائل طريفة** ومن أطرفها هذه الرسالة التى أرسلها إلى الشيخ رفاعة الطهطاوى يصف فيها الشيخ محمد عياد بعض ما شاهده فى الروسيا عقب وصوله إليها

يقول : (وأنا شغوف بكيفية معيشة الأوربيين، وانبساطهم، وحسن إدارتهم، وترتيبهم، وتربيتهم، وخصوصا ريفهم وبيوته المحفوفة بالبساتين إلى غير ذلك مما شهدته قبلى بمدة فى باريس، إذ «بتر بورغ» لا تنقص عن «باريز» فى ذلك بل تفضلها فى أشياء كاتساع الطرق، وأما من قبل البرد فلم يضرنى جدا، إنما ألزمنى ربط منديل فى العنق، ولبس **فروة** إذا خرجت، وأما فى البيت فالمداخن المتينة معدة لإدفاء الأرض، وطالما أنشدت عند جلوسى بقرب النار:

النار فاكهة الشتاء فمن يرد ... أكل الفواكه فى الشتاء فليصطل

وتذكرت قول الأعرابى فى يوم بارد:

فإن كنت يوما مدخلى فى جهنم ... ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

لقد سافرت معه النكتة المصرية إلى روسيا.

نأتى إلى ترجمة أو قصة الطبيب الخاص لمحمد على... هذا الطبيب النابه بدأ حياته بائع بطيخ.

طفل من عشرات بل مئات وآلاف الأطفال الذين تزخر بهم القرى المصرية... حبا كما يحبو أطفالنا فى الريف... مشى كما يمشى الأطفال، ونما كما ينمو الأطفال، غذاؤه الشمس والهواء، ثم الخبز والماء... ولد لابوين فقيرين يمتهنان الفلاحة شأن أهل القرى المصرية جميعا ولما بلغ الرابعة من عمره أرسله أبوه إلى الكتاب فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم فلما شب ساعد أباه وأمه فى فلح الأرض.

ولكن الطفل كان دافق الحيوية... دافق الإحساس أيضا فصمم أن يعين أسرته أو يعول نفسه على الأقل فكان فى أوقات الفراغ يجمع بعض الثمار من بلح أو خيار أو بطيخ ويبيعها ويصيب فضلا من المال الحلال... وأبواه يلاحظان فيباركان سعيه.

بل فكر الأب فى زرع أرضه كلها بطيخا وطاب المحصول وداعبته الأحلام... إنه لو باع البطيخ فى قريته «نبروه» لما جنى من ورائه ربحا يذكر... ماذا لو ذهب ابراهيم بالمحصول الى طنطا عاصمة المديرية ليبيعه هناك وقد تمرس بالبيع صبيا غير أن الصبى كان أكثر طموحا من أبيه فأبدى رغبته فى أن يذهب بالمحصول الى العاصمة الكبرى– الى القاهرة.

وأعجب الوالدان بالفكرة وشجعهما على قبولها ما أصابه ولدهما من نجاح فى صفقاته القليلة التى مارسها فى القرية.

ونامت الأسرة ليلتها تلك والأمل الحلو يداعب خيال كل فرد من أفرادها، وأذن مؤذن الفجر وخرج الأب وابنه إلى مسجد القرية يصليان وعادا فحملا الجمال بالثمار، شاركهما فى ذلك الأم والصبية الصغار، فلما انتهوا جميعا من عملهم قبلت الأم فتاها، وباركه الأب، ودعا له بالنجاح وهلل الصبية الصغار له مودعين.

وسار الفتى فى طريقه والجمال تتهادى من خلفه وئيدة فى سيرها واستهوته مناظر القرى والمدن التى يمر بها، فهذه أول رحلة له خارج قريته، فانطلق يغنى مسرورا وانتهى به السير إلى القاهرة.. فقصد الى حى الحسين والأزهر كما أوصاه أبوه، فهو حى عامر بالسكان، وبضاعته فيه لاشك رائجة..

وانتحى الفتى ركنا من أركان السوق... ورص بطيخاته أمامه، وراح يعلن عنها فى صوت حلو رخيم... وأقبل مشتر وثان وثالث غير أن السعر الذى عرضوه لم يكن مرضيا أو مجزيا فرفض أن يبيع. وظل على رفضه إلى أن انتصف النهار أو كاد... وظن الفتى، أول الأمر، أن الزبائن ربما لاحظوا عليه سمات الغرباء من أهل الريف فأرادوا أن يستغلوا براءته... فسأل جاره عن الأسعار مستأنسا فإذا بالجواب يأتيه غير مشجع فصدمته الحقيقة الواقعة.

ويفكر ابراهيم فى المشكلة ويبدىء ويعيد فلم يجد أمامه حلا إلا أن يبيع محصوله بأى ثمن قبل أن يفسد فتكون الخسارة أفدح. ولكنه خشى أن يعود إلى قريته محبطا... وبينما هو على هذه الحال إذ جذب انتباهه منظر شده إليه شدا... لقد رأى شيخا كبيرا ذا لحية بيضاء، بيده كتاب، وبيده الأخرى سبحة يرسل حباتها الواحدة بعد الأخرى، وعن يمين الشيخ وعن شماله ومن ورائه عدد كبير من الفتية المعممين، والشيخ يسير فى تؤدة ووقار.. والفتيان يتبعونه فى أدب جم واحترام بالغ، وتتبع ابراهيم هذا المنظر واستعاد فى الحال صورة شيخ القرية وكتابها ولداته من الصبية الصغار.

وانتهى المسير بالشيخ وتلاميذه إلى باب المسجد فدخلوه ومال إبراهيم على جار، له وسأله عمن يكون الشيخ وعما يكون المسجد وعلم أن هذا المسجد هو الأزهر، وأن هذا أحد شيوخه... فبهرته الصورة واستهواه وقار الشيخ الأستاذ وسمت الفتية التلاميذ.. ولمعت فى خياله فكرة لمعان البرق وانتفض واقفا واتخذ طريقه إلى المسجد، ودخل مع الداخلين،

وراعه كثرة حلقات الدرس فانضم إلى إحداها واستمع صاغيا وكأنه يعب القول عبا ثم انتقل إلى حلقة وثالثة ورابعة ولم يكد ينتهى اليوم حتى كان قد قر عزمه على أن يصبح أزهريا يطلب العلم كما يطلبه غيره من المنكبين على الكتب حوله... وسيؤهله هذا إلى أن يكون شيخا للقرية يقبل الجميع يده ويسعون إلى رضائه، أو على الأقل فى هذا حل لمشكلته ومشكلة تجارته الخاسرة..

ونبغ إبراهيم ونال الكثير من تقدير شيوخه وأساتذته، فقد كان بحق موفور الذكاء... وسعد بهذه الحياة الجديدة التى حملت عنه عبء التفكير فى المأوى والغذاء. فالرواق فيه مأواه، و «الجراية فيها غذاؤه».

ومنذ بنت مصر الأزهر ظل وسيظل مرادا وموردا ومضت الأيام.. وابراهيم ينصرف انصرافا تاما الى دروسه وكتبه. فإذا بشيخه ذات يوم يستدعيه فهرول مجيبا... ولم يكد يقبل عليه حتى وجد فى حضرته جماعة من الناس لا يعرفهم، فيهم من يتزيا بزى أمراء الجيش، ومنهم من يتزيا بزى الشيوخ... وتقدم فقبل يد أستاذه، واستقبله الأستاذ مرحبا، ثم قدمه لهؤلاء الضيوف تقدمة كلها ثناء على كفايته ومواهبه... وفهم إبراهيم من الحديث أن هؤلاء السادة قدموا ليختاروا نخبة من نوابغ الطلاب ليكونوا نواة أولى لمدرسة الطب التى يزمع إنشاءها محمد على باشا.

وابتسم القدر.

وانتقل إبراهيم نقلة جديدة من طالب بالأزهر يزمع أن يكون شيخا صاحب كتاب فى القرية إلى تلميذ بمدرسة الطب الجديدة حيث يدرس علوما جديدة لم يسمع بها من قبل: كيمياء وطبيعة وتشريح ودراسة للأمراض والأدواء، ويستمع فيها إلى أساتذة ليسوا من دينه ولا من جنسه فهو لا يعرف لغتهم ولا يعرفون لغته، إنهم أساتذة من أوربا وخاصة من فرنسا.

ونبغ إبراهيم النبراوى – نسبة الى بلده «نبروه» – فى مدرسة الطب كما نبغ فى الأزهر من قبل...

ولما تخرجت الدفعة الأولى من طلاب هذه المدرسة، أراد محمد على أن يبعث بالنابغين إلى فرنسا ليتموا هناك علومهم، ووكل إلى ناظر المدرسة كلوت بك أمر اختيار المبعوثين، فكان إبراهيم واحدا منهم...

سافر ليحيا ثم عاد فكان العود، أحلى

عاد إبراهيم، طبيبا ثم ذاع صيته فاختاره محمد على طبيبا خاصا، له.

يقول على مبارك باشا فى ترجمته له:

[ولنجابته وحسن درايته فى فنه، اختاره العزيز محمد على باشا حكيمباشى لنفسه، وقربه وتخصص به، وبلغ رتبة أميرالاى وكثرت عليه إغداقات العزيز وانتشر ذكره، وطلبته (الفاميليات والأمراء)].

وأنعم عليه بالباشوية.

وظل النبراوى باشا يتمتع بمكانته الممتازة لدى الأسرة العلوية حتى بعد وفاة محمد على، فقد اختاره عباس باشا الأول طبيبا خاصا له بعد توليه العرش.. ونال لديه ولدى والدته الحظوة الكبرى.

لقد تزوج ابراهيم أثناء دراسته فى فرنسا من فرنسية ظل مخلصا لها لم يتزوج غيرها إلى أن أدركتها الوفاة فى مصر... فزوجته والدة عباس فتاة بدوية.

وقد نبغ من أولاده ولدان رزقهما من زوجته الفرنسية أحدهما يوسف باشا النبراوى...

والثانى خليل النبراوى وقد صار طبيبا كأبيه وهو والد إحدى قائدات الحركة النسائية فى مطلع القرن... لقد أنجب سيزا نبراوى سكرتيرة الاتحاد النسائى..

كم أعطت مصر من الرجال والنساء والمواهب والشوامخ الأفذاذ.

كتاب

عالمية الإسلام

تأليف
دكتور شوقى ضيف

عالمية الإسلام

ألف هذا الكتاب الدكتور شوقى ضيف رئيس المجمع اللغوى

عالمية أن تكون الحرية الدينية، مكفولة فى الإسلام لجميع الناس فلا إكراه ولا قهر فى الدين لأحد، والتزم بذلك الرسول عليه السلام والتزم به، بعده، الخلفاء الراشدون، والتزم به المسلمون منذ فتوحهم على مر العصور.

والإسلام هو الدين الوحيد الذى عاش فى دياره كل أصحاب الملل إلهية ووثنية، مع صيانة معابدهم وأموالهم، وأن تكون لهم محاكم خاصة بهم كنسية وغير كنسية من رؤساء أديانهم... وكانوا جميعا يسمون أهل الذمة إشارة إلى أنهم **فى ذمة الإسلام وحمايته**

ويقول الدكتور شوقى ضيف إن من أهم مظاهر عالمية الإسلام أن فتح فى دياره لأهل الذمة جميع وجوه التعايش المادى من زراعة وصناعة وتجارة... وأثرى كثيرون منهم ثراء واسعا تمثله تلك المصرية القبطية التى استضافت المأمون وحاشيته وجنده حين مر بضيعتها فى زيارته لمصر... حتى أبواب الدواوين والأعمال الحكومية كانت لا توصد فى وجوههم منذ معاوية وابنه يزيد.

أما العباسيون فقد اتسع استخدامهم لأهل الذمة منذ القرن الثالث الهجرى وارتفع بعضهم إلى مرتبة الوزارة فى عهد الدولة البويهية فى العراق وإيران وفى عهد الدولتين: الطولونية والفاطمية بمصر

إن الجزية لم تكن ضريبة دينية ولكنها **ضريبة دفاع** أى بدل عسكرى نظير حماية الثغور... ومن عدالة الإسلام أنه لا يكلف غير مسلم بالدفاع عنه... ولهذا كان يعفى منها الشيوخ والنساء والأطفال... وهى بعد هذا كله لا تتجاوز دينارا فى العام.

لم يقتصر التعايش الجامع فى دولة الإسلام على الناحية المادية بل كان (المتكلمون) يفتحون أبواب مجالسهم للحوار العقلى فيها لغير المسلمين... **أى التعايش الفكرى**

إن الإسلام **هو الدين الوحيد الذى اعترف بالأديان السماوية** جميعا.

والإسلام **دين عقلانى** فلم يؤيده، مثل الديانات السماوية السابقة بمعجزات مادية حسية، بل طلب إلى المسلمين استخدام عقولهم فى تدبر آياته الكونية، وما أودعها من نظم وسنن دقيقة سديدة، ليشهدوا شهادة عقلية بصيرة بوحدانية الله.

والإسلام **دين العلم** والقرآن الكريم حافل بالإشارات إلى العلوم **الطبيعية والفلكية والطبية.**

والإسلام **دين العدل.** يقول للمسلمين (جعلناكم أمة وسطا) أى عدولا تتوسطون فى كل شيء فلا تفرطون ولا تقصرون حتى فى الصدقة وفى عبادة الله. إذ الإسلام ينكر الانقطاع والعزلة للنسك.

ذهب قوم فى رحلة ولما عادوا قالوا للرسول عليه السلام، عن أحدهم: كان خيرنا... كان يصوم النهار ويقوم الليل.

فقال الرسول عليه السلام: من كان منكم يقوم على طعامه وشرابه؟

فقالوا : كلنا...

فقال: كلكم خير منه إنما أنا أصوم وأفطر وأصلى وأقعد، إن الدين يسر فأوغلوا فيه برفق إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى.

الإسلام يحتم العدل بين الخصوم (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى).

دعا الإسلام إلى العدل الاجتماعى بين الأغنياء والفقراء فالزكاة فرض لا منّاً ولا منة ولا تفضلا بينما حاولت الشيوعية حل المشكلة عن طريق التسلط والقهر وحرمان الإنسان من حريته وماله مع الإلحاد والتمرد على الأديان فكان طبيعيا أن تسقط وتنهار.

الاسلام دين المساواة فالمؤمنون إخوة... والتفاضل عنده ذروة أخلاقية إنسانية (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

مساواة بين **الأجناس والأعراق والألوان**

مساواة فى «الحدود» والعقوبات.

مساواة تشمل البشر (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[1]

الإسلام طلب من المسلمين أن يكونوا **رحماء مع «الإنسان»** بحيث يتصدقون على فقراء المشركين كما يتصدقون على فقراء المسلمين وليس ببعيد موقف عطر التاريخ عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، مع اليهودى الذى علت به السن ففرض له نصيبا فى بيت المال كنصيب المسلم باعتبار أنه طالما يعيش فى ديار الإسلام فله من الحقوق ما للمسلمين

الإسلام دين الشمل والأسرة واحترام الأمومة والأبوة ورعاية الأبناء والنظرة العالية إلى المرأة سكنا وعدلا للروح..

الزواج فى الإسلام مظلة حنان دستوره بين الأزواج مودة ورحمة **وسوى الإسلام بين الرجل والمرأة** فى المسئولية السياسية والاجتماعية وفى العمل إذا أرادت بل **كفل لها الإسلام استقلالا اقتصاديا لم تظفر به المرأة الغربية إلى اليوم..**

المرأة المسلمة تحتفظ باسمها واسم أبيها بعد زواجها ولا تتنازل عنهما وتنضوى فى اسم الزوج كما يحدث فى الغرب إلى اليوم.

---

(١) البقرة ٦٢

والمرأة المسلمة لها **مشاركة من قديم فى العلوم والآداب وفى الرأى والمناقشة** بل يسجل الدكتور شوقى ضيف للمرأة المسلمة **دورا فاعلا فى الحركة العلمية الإسلامية** ومتى؟ منذ عصر الصحابة، فالسيدة عائشة رضى الله عنها قال فيها الرسول (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء (العرب يطلقون على صاحب البشرة البيضاء: أحمر) . وقد روت السيدة عائشة عن الرسول عليه السلام أكثر من ألفى حديث تحمل أو يحمل الكثير منها أحكاما تشريعية اعتد بها فقهاء الأمة كما أخذوا عن بعض الصحابيات وقد استعان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فى خلافته بصحابية من المهاجرات القرشيات **جعلها حاسبة فى سوق المدينة** هى الشفاء بنت عبدالله **تراقب الأسعار فى البيع والشراء وتفصل فى الخصومات.**

وكم حفلت حلقات المحدثين والفقهاء والمتكلمين فى القرن الثانى الهجرى بالنساء المسلمات واشتهرت فى كل قطر إسلامى محدثات يؤخذ عنهن الحديث النبوى.. ومن أوائلهن فى مصر **السيدة نفيسة** بنت الحسين ابن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب المتوفاة سنة ٢٠٨ هـ وكانت تتصدر مجلس العلم فى مسجدها وممن سمع عليها الإمام الشافعى وكان يفخر بأنه تلقى العلم على السيدة نفيسة.

وكم فى التاريخ الإسلامى من مفسرات وفقيهات ويخص «الفاسى» كتابه (العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين) أى مكة، **المحدثات** بالحرم المكى أو النازلات به اللائى أخذ عنهن كثيرون من أجلاء المحدثين، الحديث النبوى. وقد ذكر الحافظ الذهبى فى تاريخه ٨٨ ثمانية وثمانين اسما لنساء عالمات...

وقد يعجب القارىء كما يقول الدكتور شوقى ضيف، إذا عرف أن السيدة **سكينة بنت الحسين** كان لها فى القرن الأول الهجرى/ السابع الميلادى مجلس وقور بالمدينة كان يؤمه شعراء عصرها الأفذاذ وينشدونها أشعارهم وكثيرا ما كانت تحكم بينهم وتعلق على أشعارهم بالنقد وتجيزهم.

ومن المسلمات الأديبات السيدة **(ولادة)** بنت آخر الخلفاء الأمويين فى الأندلس وكانت شاعرة ويحضر منتداها الشاعر ابن زيدون وكوكبة من الشعراء والأدباء فى قرطبه.

وفى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى تألق فى دولة المرابطين منتدى السيدة **حواء** زوجة حاكم اشبيلية لمدة ٢٧ عاما... وكان منتداها بقصر الإمارة وكانت **تحاضر،**

فيه الشعراء والكتاب والفلاسفة، وتستمع إلى حوارهم، وتشارك فى نقد ما ينشد الشعراء من أشعارهم...

وفى غرناطة كان منتدى **حفصة الركونية** فى القرن الثانى عشر.. وهكذا **سبقت المسلمات، نساء فرنسا بقرون تلو قرون إلى إقامة المنتديات الأدبية والفكرية.**

فى ازدهار دولة الإسلام كانت **الزوجات جميعا متعلمات** كما أراد الإسلام وكان للزوجة مكانة رفيعة فى المجتمعات الإسلامية... وكثيرات منهن تفوقن فى العلوم الدينية واللغوية وعلوم الأوائل وكثيرات منهن كن أشبه بوزيرات لأزواجهن من الخلفاء والحكام مثل **أروى** زوجة أبى جعفر المنصور المؤسس الحقيقى للدولة العباسية... **والخيزران** زوجة ابنه المهدى كانت الآمرة الناهية وبمشورتها رد المهدى إلى أبناء الأمويين ما صادره العباسيون من أملاكهم... **وزبيدة** حفيدة أروى وزوجة هارون الرشيد.. لقد أمرت بحفر عين سميت عين زبيدة أمدت بمائها العذب مكة وسكانها ومن ينزل بها من الحجاج.

ومثل هؤلاء كثيرات فضليات كن دائما محل إعزاز من أزواجهم المسلمين شرقا وغربا... ولاشك أن ما رآه الغربيون فى إسبانيا وغيرها من منزلة رفيعة للمرأة المسلمة فى المجتمع الأندلسى هو الذى دفعهم رجالا ونساء إلى إعادة النظر فى وضع المرأة عندهم.

ومن العجب العجاب أن الأوربيين اليوم يفتعلون اتهام الإسلام بغبن المرأة المسلمة وهو الذى كرمها وأعزها... لقد سبق الإسلام إلى **مبايعة المرأة** (سورة الممتحنه) وهو (**حق**) لم تنله الأوربية إلا فى اواخر القرن التاسع عشر وفى بعض البلاد وليس سائر بلاد أوربا وإلى اليوم لا تتساوى الأوربية فى الأجر، مع الرجل فى محيط العمل الواحد.

وغير (أروى) و (الخيزران) و (زبيدة)، اشتهرت فى الدولة العباسية جارية لأم الخليفة المقتدر اسمها (ثمل) بأنها فقيهة وأنها جلست سنة ٣٠٦ هـ للحكم بين المتظلمين وسماع المظالم وجلس معها القضاة والعلماء واختلف الفقهاء حينئذ فى **جواز ولاية المرأة للقضاء**، وأجاز ذلك الإمام الطبرى أكبر علماء التفسير فى زمنه... كما أجاز لها القضاء الامام ابو حنيفة... مما يدل على ما بلغته المرأة المسلمة فى ذلك التاريخ من التعمق فى الفقه وعلوم الشريعة الإسلامية.

وفى الجـزء الثـامن من كتـاب (الذيل والتكملة) لعبـد الملك المراكشى ثَبْتٌ طويل **بالنساء العالمات** فى الأندلس والمغرب.. ومنهن من كانت تؤخذ عنهن القراءات السبع وقراءة ورش المصرى والتفسير والحديث النبوى والفقه والعربية واللغة والعروض وكتب الأدب المشهورة مثل كتاب (الكامل) للمبرد وكتاب (الأمالى) لأبى على القالى. وفى التاريخ الإسلامى **طبيبات ومتصوفات** ويسجل ابن عربى أن التى دفعته إلى التصوف زوجته مريم بما كان يشهد من ورعها. وتشتهر صوفية تونسية أخذت عن أبى الحسن الشاذلى صاحب الطريقة الصوفية المشهورة تسمى عائشة المنوبية وتلقب بلقب للاّ ولها فى تونس زاوية كبيرة.. أما **المرأة السودانية** فقد كانت عاملا من عوامل انتشار الصوفية فى السودان وكانت تتقدم الرجال فى حلقة الإنشاد.

وحين اضطهد الغرب فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، العلماء وشنت الكنيسة حربا شعواء على (جاليليو) (١٥٦٤-١٦٤٢ م) حين أعلن كروية الأرض وأنها تدور حول الشمس، وهنا قدمته إلى المحاكمة وعذبته ألوانا من العذاب لم ترحم شيخوخته، حتى اضطر مرغما إلى إعلان تراجعه عن آرائه. ولعل هذا كان وراء التباس الغرب فظن الأديان سواء فى الحملة ضد العلم والتحامل عليه والإسلام برىء بل المسيحية أيضا بريئة ولكنهم رجال الدين فى الغرب الذى يدين بالمسيحية السمحة التى تتنافى مع العنف ومما تنفيه نهضة المسلمين العلمية فهذه النهضة وراءها حث الإسلام الموصول على طلب العلم وإكبار أهله ولم تكن دعوته المتوهجة إلى العلم قاصرة على العلوم الدينية واللغوية كما قد يتبادر إلى الذهن بل دعا الى **علوم النفس وعلوم الكون الطبيعية والكيميائية والرياضيات والطب.**

ولم يقتصر طلب العلم فى دولة الإسلام على الخاصة بل كان متاحا لطبقات الشعب جميعا بفضل (**المسجد الإسلامى**) إذ كان مطروحا باستمرار فى حلقات الشيوخ بالمساجد وفيما نشأت بها من مكتبات ونشأ إلى جانب المكتبات دكاكين الوراقين... **ولم تتقاض هذه المنافذ العلمية مقابلا ماديا** ومن هنا كان العلم **متاحا للجميع دون مصاريف** وأكبر دلالة على هذا **نبوغ أبناء الطبقات الشعبية** مما حفلت بأسمائهم تراجم العلماء والأدباء... ويؤكد هذا ألقابهم التى لم يتنكروا لها مثل: (الحداد) و(البزاز) و (الخزاز) و (القواس) و(القواريرى) و (العطار) و (المطرز) ونشأ أبو نواس غلاما لعطار، ونشأ (أبو العتاهية) يبيع الخزف والجرار حاملا لهما على ظهره فى شوارع الكوفة... ونشأ الجاحظ يبيع الخبز والسمك بسيحان أحد نهيرات البصرة.

وفى (ألف ليلة وليلة) قصة طريفة لمزين ثرثار وفشار أيضا إذ قال لأحد وجهاء بغداد: لقد منَّ الله عليك بمزين منجم عالم بصناعة الكيمياء والسيمياء والنحو والصرف واللغة وعلم المعانى والبيان، وعلم المنطق والحساب والهيئة (علم الفلك) والهندسة والفقه والحديث والتفسير).

ملأ الإسلام دياره علما ونورا مما يشهد به **التراث الإسلامى الذى يزخر بآلاف المجلدات فى شتى فروع المعرفة**.. وفتح الغرب عينيه فى ظلمات العصور الوسطى التى كان يعيش فيها على الضياء واللألاء فقبس واقتبس طويلا قبل أن تقوم له نهضة حين كانت الحضارة الإسلامية فى الأندلس ومصر فى قمة الازدهار والإبهار.

يتساءلون عن سر انتشار الإسلام... هل هو السيف؟ كلا فما عند الغرب والرومان أكثر وأخطر ولكن السر يكمن فى روح الاسلام التى احترمت الانسان من أى جنس ولون فأفاء الناس من كل لون وجنس إلى ظلها الرحيم.

السر، تركيز الإسلام على **المساواة** التى عاش الرسول يمكن لها فى العقول والقلوب حتى حين آذنت شمسه بالمغيب وإن كانت تطلع كل يوم من جديد ففى خطبة الوداع جاء صوته عميقا مسلما (أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم، وآدم من تراب. إن أكرمكم عند الله أتقاكم.. وليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى)

وهكذا سوّى بين العرب والعجم من المسلمين ورد التفاضل بينهم.

وهكذا جعل الرسول بين المسلمين قانونا إسلاميا خالدا هو أن المسلمين جميعا عربا وغير عرب، وسودا وبيضا **متساوون** لا يتفاضلون إلا بالتقوى..

لم يسمع التاريخ عن منتصر سوى بين مواطنيه وبين سواهم فى الحقوق وكرامة الإنسان... لقد قاسى العالم القديم من الرومان ألوانا من الفظاظة والغطرسة وغلظة الجلف الذى لم يصقله فن أو حضارة أو قدوة دمثة...

وكم يقاسى الناس والأمم من الرومان الجدد

ولكن الإسلام ألغى نهائيا التفاضل القبلى والقومى والجنسى... ولا يحسب عليه بعض نماذج لم يرتفعوا إلى قمته أو إنسانيته أو حصافته أو عدالته فباءوا بغضب من الله..

لقد دخل الناس فى الإسلام أفواجا لا يستثنى من هذا أمم الحضارات العريقة، للمساواة والعدل وإلغاء الطبقية

دخلوا فيه أفواجا لليسر فى شعائره والإنسانية فى شرائعه **وإخوة المؤمنين** مهما اختلفت الديار والجنسيات..

إنه دين الأمة الواحدة

الإسلام (**الدين**) يلغى التعصب له أو للديانات ويحض المسلمين على التسامح مع من يخالفهم فى الدين حتى لو كان من الصابئة عبدة الكواكب أو من المشركين وهو تسامح يبلغ كما يقول الدكتور شوقى ضيف، بالحياة الإنسانية أقصى ما يريده الله لها من السمو..

لقد أفسح حاكم الأندلس الأموى محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨– ٢٧٣ هـ) للإسبان المستعربين فى مناصب الدولة فعين تومس أنتنيان، كاتبا، له يدير شئون الدولة فاستعفاه من العمل يوم الأحد فأعفاه وأعفى جميع الموظفين حتى يستطيع المسيحيون منهم، الصلاة، فى هذا اليوم بكنائسهم... وأقبل كثير من الإسبان على اعتناق الإسلام لبساطته وسماحته، حتى من لم يعتنقوا الإسلام تعلموا العربية إلى حد اتقان الكتابة بها شعرا ونثرا. بل شمل التسامح الإسلامى فى الأندلس، اليهود ففتح لهم المسلمون أبواب الأندلس على مصاريعها كما يقول الدكتور شوقى ضيف فاتخذوها، طوال ثمانية قرون، ملجأ لهم وحصنا يحتمون به من اضطهاد الغرب لهم فى كل مكان، واستطاع أحدهم وهو حسداى بن شبروط أن يصبح وزيرا سنة ٣٣٤ هـ/ ٩١٦ م لعبد الرحمن الناصر أهم حكام الأندلس الأمويين، فبدأ حركة بعث الدراسات التلمودية، وسرعان ما أصبحت الأندلس – برضا المسلمين – مركزا للدراسات العبرية. ولما جلا العرب عن الأندلس بعد سقوط غرناطة ٨٩٧ هـ ١٤٩٢ م أخذ الإسبان يضطهدون اليهود اضطهادا شديدا وازداد الاضطهاد فى عهد فيليب الثالث ملك إسبانيا فلم يجدوا ملجأ يحميهم سوى ديار الإسلام والمسلمين فى المغرب الأقصى فنزحت إليه جموعهم وتغلغلوا فى مدنه وعاشوا بها فى تسامح عظيم قرونا طوالا أثروا فيها وتمولوا مالا كثيرا.. يشهد بهذا الحاخام الأكبر نفسه ج. هـ. هرذل حاخام الامبراطورية البريطانية فى كتابه (فى الفكر اليهودى) الذى نقله إلى العربية الدكتور الفريد

يقول الحاخام:

(لقد هاجمت، اليهود، جميع الأمم المسيحية، فأشبعتهم شتما، وامتهانا، واحتقارا وسلبا ونهبا، ولقد طردهم من انجلترا ادوارد الأول.. ومن فرنسا شارل السادس، فلم يجدوا ملجأ إلا الأندلس، **حيث أحاطهم أمراء الإسلام بعطف خاص،** يرجع غالبا إلى أن عقيدة كاثوليك إسبانيا، وهى عبارة عن إشراك مقنع. وفى ساعة نحس وشؤم اكتسح الصليب الهلال واحتل مكانه على قمة الحمراء، فهدم هذا الملاذ الوحيد، وخفت مصباح التسامح الدينى فى إسبانيا، إذ تقرر إخراج اليهود منها... غادروا البلاد كسيرى الفؤاد: مثقلى النفس ثكالى. لكنهم ما كادوا يبلغون السفن حتى وجدوها مربوطة عمداً فى الموانىء... هكذا انقضت المدة المقررة فأصبحوا عبيدا أرقاء... وأكرهوا على اعتناق المسيحية.. وابتهجت شبه جزيرة إسبانيا بهذه النتيجة، وأعلنت أن القساوسة انتصروا انتصارا كاملا. ص ٢١٨

وبعد هذا الذل انتقلوا إلى نعيم البلاد الإسلامية وتفيأوا ظلها بعد العذاب والتنكيل مما يجسم الفرق ولكن اليهود نسوا هذا كله وجحدوه فى خسة، وانقضوا على المسلمين فى فلسطين يبقرون البطون ويقتلون ويمثلون بقتلاهم حتى الأطفال المرضى حقنوهم بالإيدز!!

كم من الجرائم ارتكبوها فى حق الإسلام والمسلمين منذ بنى قريظة، إلى اليوم.. ولكن الله متم نوره ولو كرهوا.

(ولا تحسب الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) سورة ابراهيم ١٤ (الآية ٤٢).

ولعلنا نفيق ونعيد حساباتنا ونصلح أمرنا على قواعد من الدين والعلم والماضى والحاضر فقد أعطانا الله الكثير لو عرفنا استخدامه ووعينا قيمته.

وفى كتاب (عالمية الإسلام) آفاق وأعماق نستهدى بها.

كتاب
دستور الأخلاق في القرآن
تأليف
دكتور محمد عبدالله دراز

دستور الأخلاق فى القرآن

ألف الكتاب الدكتور محمد عبدالله دراز وهو دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القرآن. إنها رسالة جامعية استغرقت كتابتها ست سنوات ونوقشت فى السوربون سنة ١٩٤٧ وقد ترجم النص الفرنسى إلى العربية الدكتور عبدالصبور شاهين.

والكتاب فى الحقيقة موسوعة تقع فى ٧٨٠ صفحة من القطع الكبير

الفصل الأول منه فى الإلزام... والثانى فى المسئولية... والثالث فى الجزاء... والرابع فى النية والدوافع... والخامس فى الجهد ثم خاتمة عامة لتبدأ فصول (الأخلاق العملية)

الفصل الأول فى «الأخلاق الفردية»، والثانى فى «الأخلاق الأسرية» والثالث فى «الأخلاق الاجتماعية» والرابع فى «أخلاق الدولة»، والخامس فى «الأخلاق الدينية»

ثم إجمال أمهات الفضائل الإسلامية.

إن مشكلتنا ليست المال أو حتى العلم ومن ورائه التكنولوجيا. إن مشكلتنا **الأخلاق** فهى كما طرحها مفهوم القرآن، مفتاح إلى العلم واليقظة وقيم الأمانة والتكافل والرحمة والصبر عند اللقاء وفى النزال والشجاعة... شجاعة النفس والقلب والضمير... وهذه لو توفرت أمضى الأسلحة فى حربنا مع عدونا. إن ما عنده من السلاح المادى يفوق ما عندنا ولكن سلاح الخلق أمضى.

والتشريع الإسلامى يشترط الأخلاق فى تعيين القاضى ورئيس الدولة فقد حرص الإسلام على (الشخصية) فى الإنسان.

إن سوء الخلق ليس هو السبب الوحيد الذى ترد به شهادة الرجل فى المنازعات، بل إن مسلكا طائشا، أو زيا يخرج عن الاحتشام، أو الانهماك فى الملذات حتى ما كان منها مباحا... كل ذلك من شأنه أن يرد شهادة الرجل، ويجعله غير أهل لوظيفة القاضى، وبالأحرى غير أهل لوظيفة رئيس الدولة.

إن الإسلام يحرم الخمر... والمسألة أو الحكمة فى التحريم ليست سلطة أمر وإنما حماية للمجتمع وصيانة للفرد فإن شارب الخمر كما يقول الإمام على إذا شرب، سكر.. وإذا سكر، هذى... وإذا هذى، افترى... وهنا يتعرض للعقاب والتجريح، وفقد الاحترام أى فقد القيمة بعد أن فرق كما يقول الشيخ عبدالله دراز (أستاره الواقية). ص ٢٦٨

وعقوبة السرقة ليست قسوة فكلما كانت العقوبة أشد تنكيلا قل غالبا تطبيقها. فعظم الجزاء يجعل مخالفته أدنى إغراء وأقل إغواء، فلا يجد النظام امامه عقبات كبيرة يتعين عليه اجتيازها.

كما أحاط القرآن الكريم تشريع هتك العرض بعدة احتياطات تجعل اثبات الجريمة أمرا فى غاية العسر، إن لم يكن مستحيلا من الناحية العملية. كذلك لسنا نجد فى السنة مثالا واحدا قامت فيه الإدانة بالزنا على الشهادة بل إن الحكم صدر على أساس من الإقرار التلقائى للمذنب نفسه... وحتى هذا الإقرار التلقائى لا يكفى فى ذاته لكى يفرض إدانة، بل يجب التأكد من أن **المعترف يدرك تماما ما يقول**... وأن يصر على هذا الإقرار حتى النهاية.... وألا يكذبه مطلقا بإنكار لاحق **صريح** أو **ضمنى**.

ومن إشراقات القرآن الكريم وسماوياته أنه حين عدد الله، النعم فى الجنة التى يهبها المتقين، نوه بنعمة «**النقاء**» فى قوله تعالى:

(ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار) الأعراف ٤٣ فالصدر النقى قدمه على نعمة الأنهار تجرى أمام عيون أهل الجنة. والأنهار الجارية أمام العين (أنزه ما يلذ النظر وأطهره) كما يقول الشيخ دراز وعندما وصف الله الجنة بأكرم وأجمل وأطيب الصفات قال فى النهاية: (ورضوان من الله أكبر) ص ٣٨٥

ويقول قائل لماذا يحرم الشراب فى الدنيا ويتاح أو يباح فى الجنة والجواب أن شرب الجنة سوف يكون (شرابا طهورا)

ولن تغشى لذة الكأس على العقل لأنها: (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ولن يصيبهم منها صداع ولا وصب: (لا يصدعون عنها) ولن يصحبها كذب ولا ثرثرة): (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) ولن تؤدى بهم الى إثم لأنها: (لا لغو فيها ولا تأثيم).

ومن الأمر ما وكله إلى الإنسان (وأما من خاف مقام ربه، **ونهى النفس عن الهوى**). حتى الدين (لا إكراه فى الدين).

ومن الدماثة والخلوص قول القرآن الكريم (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست[1] مؤمنا) فى عملية بث الأمل فى النفوس وفى توجيه الآخرين إلى احترام الناس وعدم استباحة تفكيرهم.

وقريب من هذا اضطرار الضرورة... فحتى النهى لم يغلق الله الرحيم الباب غلقا محكما ينتهى بالإنسان إلى طريق مسدود.. بل وضع فى الاعتبار، الاضطرار، من رحمة... فبعد أن فصل لنا ما حرم علينا استثنى حالات الاضطرار (فمن اضطر غير باغ[2] ولا عاد فلا إثم عليه) ومن هنا القاعدة الشرعية (الضرورات تبيح المحظورات)، ومن الإسلام، الإنفاق فى **نبل**... اختيار الأحسن الذى تشتهيه النفس (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)[3]

ومن نبل الإسلام: **العطاء فى خفية** لا رئاء الناس ولا رياء المجتمع ولا اشتهاء التفاخر ولا ابتغاء الشهرة... عطاء لا يتبعه من أو أذى (إن تبدوا الصدقات فنعما هى، وإن تخفوها، وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم، ويكفر عنكم من سيئاتكم).[4]

وقوله تعالى: (الذين ينفقو أموالهم فى سبيل الله، ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى، لهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم)[5]

---

(١) النساء ٩٤
(٢) البقرة ١٧٣
(٣) آل عمران ٩٢
(٤) البقرة ٢٧١
(٥) البقرة ٢٦٢، ٢٦٣

ومن دماثة الإسلام **اختيار الموضوع واختيار الأسلوب** (وتناجوا بالبر والتقوى) وقوله تعالى: (وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن) الإسراء ٥٣

والقرآن الكريم يبدأ بالواقعية وينتهى بالمثالية فهو حين شرع القصاص، رغب فى العفو (وجزاء سيئة، سيئة مثلها، فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين).[١]

نوه القرآن الكريم بالأخوة الإنسانية: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم).[٢]

ومن أروع فصول الكتاب فصل (أخلاق الدولة)

فمن واجبات الرؤساء: **الشورى** (وشاورهم فى الأمر)

والعدل (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) النساء ٥٨

وصون الأموال العامة وعدم المساس بها: (وما كان لنبى أن يغل، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) آل عمران ١٦١

ومن واجبات الشعوب: **النظام** والطاعة **المشروطة** بطاعة الحاكم **وتجنب موالاة العدو أو التعامل معه**

موسوعة كبيرة وعميقة تفهم الدين من رؤية حضارية... ذكرت منها لمحات فحسب... ولكنها لو غدت لنا، أسلوبا لتغير وجه المجتمع وقلت المعاناة وساد الوئام.

هذا هو الإسلام فى أفقه الأعلى

(١) الشورى ٤٠
(٢) الحجرات ١٣

كتاب

يوميات ألمانى مسلم

تأليف

دكتور ويلفريد هوفمان

يوميات ألمانى مسلم

الرجل الألمانى الذى أسلم وكتب هذا الكتاب هو الدكتور ويلفريد هوفمان سفير ألمانيا **الحالى** فى المغرب... واتخذ بعد إسلامه اسما جديدا : «مراد» بمعنى الهدف يرمز بهذا إلى أن **الإسلام**، بعد رحلة طويلة من دراسة الأديان والحضارات، كان أعز أهداف حياته..

المؤلف دكتور مراد ويلفريد هوفمان

وقد جاء اعتناقه الإسلام سنة ١٩٨٠ تتويجا لسنوات متصلة من الدراسة والتفكير والمقارنة النافذة بين حضارة الغرب وأيديولوجياته وبين الإسلام وعطاءاته على مستوى الفرد والمجتمع.

وقد أثار إسلام الدكتور مراد ويلفريد هوفمان سفير المانيا، قدرا كبيرا من الاهتمام والحرج معا فى الغرب إلى الحد الذى حمل بعض المسئولين على إخفاء إسلامه... ولكنه، **اختار**.

إنها مقومات الإسلام الإنسانية والثقافية والجمالية، وراء هذا الاختيار. يقول «محمد أسد» وهو نمساوى أسلم، فى تمهيده للكتاب أن الدكتور السفير مراد ويلفريد هوفمان (دفعه نفوره من حضارة الغرب.. حضارة التكنولوجيا الحديثة المادية، وكذلك من عقم الفكر السيسولوجى الغربى وما ينطوى عليه من إنكار لكل القيم المتعلقة بمصير الجانب الروحانى فى الإنسان إلى اكتشاف التناسق بين الأشكال الفنية فى العالم الإسلامى

والنظرة الدينية لأبنائه، وهذا هو الاكتشاف الذى أوضح له فى حينه، الارتباط الوثيق بين الثقافة الإسلامية والعقيدة الإسلامية ذاتها).

ولم يقف اكتشاف الإسلام فى الغرب، على السفير الدكتور ويلفريد هوفمان، وليوبولد فايس (محمد أسد) بل اعتنقه من المثقفين والفنانين الغربيين، البريطانيون «ريتشارد بيرتون» و «مارمادوك بكتال» و «مارتن لنجز» و «كات ستيفنز».. ومن الفرنسين: «لويس ماسينيون» و «رينيه جينو» و «ايفا دى فتراى ميروفيتش» و «روجيه جارودى» و «موريس بيجار».

حاضرت فى احدى السنوات فى جامعة واشنطن وكان موضوعى:

(الإسلام وراء الفنون فى البلاد الإسلامية)... وإذا بى أفاجأ عند قراءة كتاب السفير الألمانى الذى اعتنق قلبه الإسلام وعانقت روحه، جوهره يقول (إن الدين الاسلامى يتمتع بالقدرة على ترجمة جوانب معينة من العقيدة إلى مبادىء جمالية. وهو ما يمكن للمرء أن يشهده على سبيل المثال، فى مبانى وباحة قصر الحمراء فى غرناطة.. أو فى المساجد المميزة مثل تلك التى توجد فى قرطبه والقيروان والقاهرة... ومنطقة الحرم فى قلب مكة.

وهو يرجع هذا إلى عدة عناصر:

- المثل الأعلى الخاص بالبساطة فى الواجهات الخارجية للقصور الإسلامية والتى تكاد توحى للمرء بالمسلمة الجميلة التى تسدل الحجاب على وجهها عندما تغادر دارها.
- الطابع الديمقراطى اللاطبقى للإسلام الذى يغلب على تصميم أماكن العبادة الإسلامية.
- الدرجة العالية من التجريد، والتى تتفق مع جلال الله عن الوصف عند المسلمين.
- الأبعاد الإنسانية فى تكوين النسب المعمارية، والتى تعكس حرص الإسلام على التوازن، والاعتدال، ومنهج الوسطية فى معالجة كل الموضوعات.
- تجرد أماكن الصلاة من المناخ السحرى (الذى يدل على خلو الإسلام من الطقوس والأسرار المقدسة والغموض).
- تصميم الحدائق بوحى من وصف القرآن للجنة.

وقد أدرك الكاتب العالم أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذى كتب إثر نزوله وهنا يقول : (على ضوء هذه الخلفية والتجارب المؤسفة التى مرت بها عملية ترجمة الإنجيل من الآرامية عبر الإغريقية واللاتينية، إلى الانجليزية والفرنسية أو الألمانية، أيكون من المثير للدهشة إذاً أن يبدى المسلمون خشوعا إزاء أصغر نص من نصوص القرآن الأصلية، فلا يلمسونه إلا بأيدى وأبدان طاهرة؟) .

وقد نفذ د. مراد ويلفريد هوفمان إلى العلاقة المباشرة بين الفرد وربه فى الإسلام (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) البقرة الآية ٢٥٥

مواقف كثيرة فى هذا الكتاب تشير الى أن إسلام صاحبه لم يكن حماس ساعته ولكنه إسلام مشغول على مهل بعد دراسة وتمحيص واكتشاف ويقين... رأى المهتدين إلى الإسلام يتمتعون بحاسة اهتداء إلى الطريق المستقيم هادئة ومطمئنة، ومن ثم يبدون فى تناغم بهيج مع أنفسهم وبيئتهم.

ورأى المنطق الفكرى النموذجى لمعتنق «اللاأدرية» يفتقر إلى الذكاء، وأن الإنسان لا يملك ببساطة الهروب من اتخاذ قرار بالإيمان، وأن خلق الكائنات التى توجد حولنا هو أمر واضح، وأنه مما لاشك فيه أعظم انسجام ممكن بين الإسلام والحقيقة الكلية.

يقول (وهكذا أدركت، وقد هزتنى الحقيقة، أننى قد أصبحت فى خطوة وراء الأخرى بالرغم منى ودون أن أكون واعيا بذلك، مسلما بمشاعرى وفكرى..

ولم تبق سوى خطوة واحدة أخيرة، وهى أن أعلن إسلامى رسميا.

لحظة ميلاد... لحظة رائعة

«لا إله إلا الله محمد رسول الله»

نطقت بالشهادتين فى المركز الإسلامى بكولونيا.

«لا إله إلا الله محمد رسول الله».

واخترت لنفسى من بين الأسماء الإسلامية، اسم «مراد فريد»

وأصبحت منذ اليوم (١٩٨٠) مسلما.

وهكذا بلغت «مرادى».

***

مرة أخرى أقول إن إسلامه مشغول خيطا خيطا..

ومن هنا أعتز، به.

بهره من الإسلام أن المسلمين **يستطيعون الصلاة فرادى** اذا ما اقتضى الأمر ذلك، فى أى موضع طاهر وفى أى مكان. وفى هذا يكمن أحد أسرار قدرة الإسلام على المقاومة على امتداد فترة طويلة من الحكم الشمولى... وهو ما يفسر الحقيقة المذهلة لبقاء ملايين المسلمين الصينيين متمسكين بالإسلام، على الرغم من حكم ماوتسى تونج وقيام الثورة الثقافية، وهو مايفسر أيضا بقاء بضع مئات من العائلات الإسبانية المسلمة المحافظة على إسلامها ليس بعد ضياع الأندلس فحسب، ولكن فى ظل حكم فرانكو أيضا.

أقول: كون الإسلام للفرد وللأمة، على المستويين، **سر من أسراره.**

قد تنهزم دولة إسلامية وتلحق الهزيمة بالطبع شعب هذه الدولة ثم يبقى الإسلام... إنه ليس خارجيا يخضع للأشكال والشكليات... ولكنه داخل النفس وخارجها... إنه فى نسيج الفرد والمجموع.

والدكتور مراد فريد، كما يحب أن ينادى لا يخشى على الإسلام من التبشير بقدر ما يخشى عليه من التأثير الماكر والمستشرى لحضارة التكنولوجيا الغربية!!

ذلك أن للمجتمع الصناعى الغربى، كما يقول، **تأثيرا ساما على كافة الأديان،** بما فى ذلك المسيحية نفسها.. من خلال نشره لقيم مؤسسة على فروض مادية محضة. إن الفكر النفعى وتحقيق أقصى ربح، وعبادة زيادة الإنتاج بشكل مستمر، وأسطورة التقدم اللانهائى، وغطرسة علماء العلوم الطبيعية الذين تحولوا إلى فلاسفة، واستشراء مذهب «اللاأدرية» وتحييد القيم الأخلاقية لدى المتعلمين كل ذلك يحدد التوجه الغربى الكامل نحو إضفاء طابع عقلانى على كل مظاهر الحياة مما يشكل عدوانا غاشما على الأديان.

إن المجتمع التكنوقراطى الذى نعيش فيه فى الغرب، بعبادته للفرد، وتأسيس أخلاقياته على مبدأ (دعه يعمل، دعه يمر) يواجه فى الحقيقة خطر التدمير الشامل للأسس الأخلاقية التى ينمو عليها هذا المجتمع ذاته، أى القيم وأنماط السلوك المتجذرة فى إيمان أجدادنا بالله.

ونفذ الدكتور مراد ويلفريد هوفمان إلى اعتبار الإسلام، المسلمين أمة واحدة.

أقول لقد استلت فكرة (الأمة الواحدة) فكرة الاستعمار البغيضة فى دولة الإسلام. كان المسلمون يتنقلون فى أنحاء العالم الإسلامى دون قيود أو حدود.. فكان ابن خلدون يتولى القضاء فى مصر وكان الشيخ محمد عبده تتحلق حوله الندوة فى لبنان وكان الشيخ السبكى يقوم بمذهب التوفيق فى القرن السابع الهجرى وبعده الشيخ الشعرانى فى القرن الثامن الهجرى والثلاثة مصريون.

ويعى هذا جيدا الدكتور مراد ويلفريد هوفمان فيقول (قد يحسن بالذين لا يزالون يعتقدون أن الإسلام بطبيعته يعوق التقدم أن يقرأوا «المقدمة» أو الكتاب التمهيدى للمؤلف الشامخ فى تاريخ العالم ابن خلدون كتاب «العبر» المكتوب فى عام ١٣٧٧ (والذى ترجمه إلى الانجليزية فرانز روزنتال، برنستون ١٩٦٧) . وإذا لم يكن ابن خلدون، كبير القضاة فى القاهرة، قد كتب أكثر من هذه المقدمة الواقعة فى ٤٠٠ صفحة لكفاه ذلك لأن يخلد فى تاريخ الفكر. وهكذا أصبح ابن خلدون قبل كارل ماركس، وماكس فيبر بنحو ٥٠٠ عام (خمسمائة عام) **الأب الحقيقى لكل من علم الاجتماع، وفلسفة التاريخ** مطالبا بأن يكون التاريخ، أكثر من مجرد سرد معلومات.

وكانت محاولته هى أول محاولة معروفة لاكتشاف القوانين التى تحكم دورات التاريخ، وصعود وسقوط الحضارات... وأفضى هذا المنهج بابن خلدون إلى الوقوف على التفاعل القائم بين المناخ والسلوك، وبين التخصص الحضرى (العمران) والسمات الثقافية.

ومضى الدكتور مراد ويلفيد هوفمان يعدد ريادات ابن خلدون فقبل كتاب "Budden brooks" لتوماس مان بزمن طويل، كان ابن خلدون قد أعلن أن «نهاية الحسب فى العقب الواحد أربعة آباء».

كما سبق ابن خلدون فردريك هيجل فى ملاحظته (أن للدول أعمارا طبيعية كما للأشخاص).

إن ابن خلدون فى رأيه ويقينه، **نتاج للثقافة الإسلامية فى أروع صورها.**

وعن تحريم الإسلام، الخمر وتجنبها: (كم من الآلام كان يمكن تجنبها، مثل حوادث السيارات، والطلاق، والتليف الكبدى.... لو أن الناس التزموا بتحريم القرآن، الخمر).

ما أروع وصفه، الطواف بالكعبة ... ويبلغ الوصف ذروته فى قوله (الكعبة باعتبارها نقطة ثابتة وقبلة (يتجه اليها المصلى) تمثل مرساة رمزية لديانة عالمية تعلم يقينا أن الله ليس فى الشرق أو فى الغرب وإنما يتجاوز كل قيود الزمان والمكان).

وفى اليوم التالى لأدائه العمرة يقول وهو مأخوذ لا يزال (راودنا الأمل فى أن نكون وحدنا ولو لمرة واحدة فى هذا المسجد الآسر، فبالغنا فى التبكير بالاستيقاظ، حوالى الساعة الثالثة صباحا، وقبل الأذان الأول.. ولكن ذلك لم يجد، حيث كان مئات المسلمين يتدفقون ليل نهار بلا انقطاع للطواف).

وهنا يذكرنى بأول مرة اعتمرت فيها.. وما إن دخلت الفندق بعد وصولى وابنتى الأرض المقدسة حتى اغتسلنا ولبسنا الملابس البيضاء وقلنا نستريح قليلا قبل السعى إلى الكعبة التى كانت على مرأى من فندقنا الذى نزلنا، به.. حتى غلبنا النعاس دون أن ندرى لعله سلام النفس المؤمنة حين تطمئن أنها غدت فى بيت الله أو قاب قوسين أو أدنى... واستيقظنا فجأة وكانت الساعة الثالثة صباحا، أيضا فأعدنا الوضوء والاستعداد ونزلنا فإذا الليل الساطع الأنوار قد غدا نهارا حركة ونشاطا... ذكرنى الكتاب بتجربتى.

الكعبة... مع خيوط الفجر الأولى سعيت إلى البيت الحرام بعد سفر طويل... الطريق إليه مغطى بالناس الساعين المشوقين.. والمكان فيه مغطى بالطائفين الراكعين الخاشعين السجد الباكين... كل إليه مشوف.. كل به يطوف.. كل به تتعلق عيناه ويداه ورجاؤه ودعاؤه وتهيبه وولوعه.. ودموعه والورع.. من كل طريق اليه.. من كل فج عميق إليه يهرعون مهرولين زاحفين... حثيث الخطى فى خفة.. وقعيد محمول فى محفة... اذا استبد الشوق، بالمسلم، إليه لا يعرف الصعب أو المستحيل..

فى هذا البيت الله وحده الأكبر.. وهو وحده الأعلى وهو وحده الأعظم... هنا تسقط الأقنعة كل الأقنعة.. تسقط الزيوف... حيث الإنسان لا يستثنى غنى أو متعلم أو ملك أو أمير... الكل فى هذا البيت صغير.. صغير والعظمة لك.. ضعيف.. ضعيف والقوة لك... عاجز عاجز والحول والطول لك امحت الفوارق والفروق كبيرها والدقيق... بل لعل أشد الناس خشوعا وخضوعا.. بكاء ونحيبا الأشداء الأقوياء.. لعل التكفير عن غرور الإنسان.. لعلها الحقيقة التى غابت فى زحام المدينة.. لعلها الحاجة إليك... لعلها العودة إلى رحابك... لعله اللواذ ببابك... لعل...

كم تعلم ولا نعلم إنك وحدك علام القلوب والغيوب.

* * *

والدكتور مراد ويلفريد هوفمان شده استغراق المسلم فى الصلاة سواء حضرته الصلاة فى محطة بنزين، أو على الطوار، أو حتى فوق السقالات الشاهقة.

وفى رأيه أن قوة الحركة الإسلامية التى كثيرا ما ينظر الغرب إليها كلغز، قد ولدت فى النور، ونتجت من القدرة على الصلاة.

رحلة طويلة قطعها أشواطا حتى دخل فى الإسلام... أبحر طويلا فى القرآن الكريم وفى الحديث الشريف ثم قرأ كثيرا حولهما من كتابات الكاتبين وعنده أن من أفضل كتب السيرة: كتاب (سيرة رسول الله) لابن اسحق الذى حققه ابن هشام حوالى عام ٢٠٠ هجرية (ترجمة أ. جويوم، اوكسفورد ١٩٥٥) وللآخر كتاب حديث هو «محمد» حياته مستقاة من أقدم المصادر (نيويورك ١٩٨٣) لمارتن لنجز.

ويقف على محطات كثيرة فى السيرة العطرة.. فيرى قبول الرسول عليه السلام الهدنة فى الحديبية، والذى أثار مخاوف أصحابه، مناورة سياسية دبلوماسية من الطراز الأول، إذ سرعان ما أدرك أهل مكة أنهم قد وقعوا بأنفسهم على صك استسلامهم مستقبلا.

وبنفس الحكمة البارعة والرائعة أملى الرسول عليه السلام دستور وحدة المدينة..

فصل واحد أخالفه فيه هو فصل (الختان) فهو يرى الختان عرفا استنته التوراة.. أقول لم تستنه التوراة وإنما نقل اليهود هذه العادة الصحية من مصر القديمة كما نقلوا عادة طهارة الذبائح وكثيرا مما رأوا فى مصر قبل (الخروج) وقد نوه بهذا معترفا به، عالمهم فرويد فى كتابه عن موسى... وفرويد هذا هو القائل: (إن عقدة اليهود، سبق مصر فى الحضارة).

وفى فصل (الإسلام وعصر الازدهار البترولى) يقول إن الإسلام هو أكثر من مجرد التصنيف الطبقى، ودخل الفرد. إن هذا الدين لقادر على أن يمنح المرء مناعة قوية ضد عبادة المال والترف.

وعلى هذا الأساس فإن هناك أملا مشروعا فى أن يستطيع الإسلام بتجنبه لتجاوزات الحضارتين الغربية والماركسية اللينينية، أن يصبح البديل الأفضل: **البديل ذا الوجه الإنسانى.**

إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا)

الاستغفار عند الانتصار... هنا يقول السفير:

(ياله من مبدأ مدهش! ولشد ما كان التاريخ الدبلوماسى سوف يصبح مختلفا لو أن رجال السياسة كانوا أكثر التزاما بهذه النصيحة: ألم يكن من الممكن تجنب قيام الحرب العالمية الثانية لو أن كليمنصو وبوانكاريه، قد التزما فى عام ١٨٨٩ بما جاء فى صورة النصر، بدلا من أن تستبد بهما مشاعر الكراهية والرغبة فى الانتقام من ألمانيا؟)

وفى معرض المقارنة الفاحصة بين الإسلام والحضارة الغربية يصف شباب هذه الحضارة بأن معظمهم محبطون ومتبلدون عاطفيا وقد تزعزعت ثقتهم فى الديمقراطية المطبقة، ومؤسسات الدولة، والسلطات العامة والخاصة بصفة عامة، وأنه لهذه الأسباب وغيرها تحوط نظرتهم للمستقبل شكوك خطيرة.

وهو يرى هذه الظواهر ليست سوى قمة لجبل جليدى، تختفى تحته تفسخات اجتماعية وثقافية تنبأ بها منذ وقت طويل، المراقبون اليقظون من علماء الاجتماع فى جامعة هارفارد من أمثال دانيل بل فى كتابه (التناقضات الثقافية للرأسمالية)، والبروفسير البلجيكى ليومولان فى كتابه (المغامرة الأوربية).

وفى هذه العملية تتجه القيم العريقة، كما يقول، نحو الانحراف... يمكن أن تتحول الفردية الى النرجسية، وتقرير المصير إلى فوضى، والتسامح الى تحييد القيم، والمرونة الى نبذ التقاليد، والرخاء الى عبادة المتعة، والكد إلى الإفراط فى الاستهلاك، والاقتصاد الى إدمان العمل، والتنافس إلى تسابق دام، والحساسية إلى وسوسة، والأخوة إلى شمولية، والمساواة إلى التدنى، والثقة فى الله إلى عقلية تفتقر إلى المبادرة.

إنها أعراض التداعى الهيكلى الزاحف على العالم الغربى.

ما الحل؟ ما العمل؟ إنه يرى أن هذا الجيل يشعر بحاجته الملحة إلى مقومات ايديولوجية ودينية. ولايزال هذا الاحتمال ضائعا فى وقتنا الحاضر، إذ لا يزال الشباب متأرجحا ما بين بدائل الماركسية ومذهب الخضر، والباجواش. ومع ذلك فليس من المستبعد أن تجد هذه الحاجة الملحة إلى الالتزام الدينى والرضا الدينى ضالتها فى اعتناق دين غير أوربى مختلف تماما، يروق للشباب، حيث يجدون فيه ترياقا شافيا من شرور المادية، وتوثيقا لعرى الأخوة، وتخلصا من الطبقة السلطوية الدينية وقادرا بطبيعته على أن يكون دين الفطرة: أى «**الإسلام**».

وفى رحلة الإيمان يؤمن إيمانا عميقا يأسر النفس بالآية الكريمة (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)

لقد لاقى من المعاناة ألوانا

انهمرت القنابل الأمريكية والبريطانية على مدينته كل أسبوعين اثناء الحرب العالمية الثانية.

روعته سيارة صدمت سيارته وخلفت الكثير..

قام أحد المخبولين فى تنيسى بإطلاق رصاصة اخترقت زجاج نافذة مقصورته فى القطار... لم تخطىء رأسه إلا ببضع بوصات، أثناء رحلة عودته إلى واشنطن.

وفى سنة ١٩٧٦ اكتشف الأطباء ورماسرطانيا فى كليته اليسرى. معاناه لا يقوى عليها إلا أولو العزم.

ولكن عمق إيمانه بالله فى ظل إيمانه بالإسلام كان سندا وسنادة وعزاء.

ولا يزال يتمتع بعذوبة الفكاهة التى لا تنبع إلا من سلام نفسى وصفاء روحى.

سألته جارته الإسبانية على المائدة سؤالا غير لائق يتعلق بالدين فرد باقتضاب ولكنه يعلق على أسلوبها قائلا:

(ألم تعلم من دروس الاتيكيت أنه يجب عدم الخوض فى أمور السياسة والدين والصحة على مائدة العشاء؟).

وعن **القرآن والعلم** يرى أنه لا يوجد بيان قرآنى واحد لا يمكنه الصمود بصلابة للتمحيص العلمى... ومع هذا لا يؤيد حماس المغرمين بالربط بين القرآن والنتائج العلمية الحديثة... لأن النتائج العلمية مهما بلغت قد تتغير... قد تتعدل... قد يعدل عنها...

والقرآن الكريم هدفه الأسمى هداية البشر والارتقاء بالنفس الإنسانية وهذا المطلب يعجز عنه العلم حين يمنحه الدين

ليس القرآن كما يقول ملخصا لعلوم الفيزياء والأحياء والكيمياء.. إنه أكبر..

ومن أروع فصول الكتاب فصل (الإسلام والتوتر العصبى)..

بعد العرض لأسباب التوتر فى حياتنا الحاضرة، خلص إلى هذه النتيجة.. ومؤداها أن المسلم الحقيقى لا يمكن أن يكون شخصية تتعرض للتوتر الزائد عن الحد، والعكس صحيح

فالكحول؟ محرم

والنيكوتين مكروه نتيجة لشبهة الإدمان.

والكوليسترول مشكلة يسهل حلها مادام ليس هناك تناول للحم الخنزير.

والوزن الزائد يمكن إنقاصه بصوم رمضان

وخشية الفشل يحرر منها، الاعتراف بأن (الله أكبر) يعنى التسليم دائما بحكم الله.

اللياقة البدنية تنطوى الصلاة على تأثير ايجابى فى هذا الصدد فوق ما تسكبه فى النفس من سلام وتطهر وبعد عن الشر والمنكر والآثام.

تنشيط الدورة الدموية؟ إن الوضوء ينشط الجهاز العصبى التلقائى

إن الحياة طبقا لأحكام القرآن والسنة هى حياة صحية جسديا ونفسيا.

وعنده سبب آخر لرؤية الإسلام، ترياقا لا يعول على المخدرات لمواجهة المشاكل الأساسية فى المجتمع الصناعى المعاصر.

ومن الطريف قوله إنه بصفته فى موقع رئاسى يعرف عم يتحدث ولهذا يحتفظ بسجادة الصلاة فى حقيبته.

أعود إلى الصفحات الأولى من الكتاب الذى ترجمه الدكتور عباس رشدى العمارى – يقول الدكتور مراد ويلفريد هوفمان، إن سيارته صدمتها سيارة كانت تسير بسرعة ٩٥ ميلا فى الساعة (وكانت فرصتى للنجاة من هذا الحادث تعادل تلك التى كان يمكن أن أحظى بها فيما لو أنى قفزت من الطابق الخامس من مبنى مرتفع.

وعندما كان الجراح يحاول اعادة وجهى الممزق الى ما كان عليه، تساءل بصوت مرتفع عما كان عليه شكلى قبل الحادث، وتمكنت بحركة من رأسى أن أشير إلى أنه يمكنه أن يعثر على جواز سفرى فى طقم ملابسى «الجينز» المخضبة بالدماء. وأخذ الطبيب لبعض الوقت يجيل بصره على التوالى بين صورتى فى جواز سفرى وتقاطيع وجهى الممزقة، ثم همهم مترددا بأنه يمكننى أن أجرى جراحة تجميل بعد بضع سنوات.

وأضاف بتحفظ وهو يحقننى بجرعة مورفين فى أول ليلة بالمستشفى:

– «ياعزيزى إن المرء لا ينجو فى مثل هذه الحوادث! لعل الله قد ادخر لك شيئا فى المستقبل»

وبعد ٢٩ عاما، أى فى ٢٥ سبتمبر عام ١٩٨٠، استطعت أن أدرك معنى هذا.

أسأل: هل كان إسلامه هو الذخر الزاخر المدخر؟

نعم فقد كان إسلامه حياة ثانية غالية.. نفيسة.

وقد أدرك هو هذا.

لا يزال فى الكتاب الكثير والمثير فلم يكن إسلامه اختيارا سهلا أو سريعا ولكنه «اختار» بعد أن أبحر طويلا فى الإسلام، وفى الأديان، وفى الكتب، وفى الأفكار، وفى المقارنات، وفى التاريخ... وكان تقييمه دقيقا وعادلا وفاضلا فقد درس القانون دراسة عالية فحصل على الماجستير فيه من جامعة هارفارد، وعلى الدكتوراه فيه من جامعة ميونيخ.. وزار بحكم عمله الدبلوماسى البلاد وعرف بمواهب، الكشف، فيه، الشعوب واستقرأ الأحداث والناس بل الوجوه وأنماط السلوك. سَعى.. ووَعى... وتدبّر... وفكّر... وقدّر... واستوعب... وارتوى ثم روى فكان هذا الكتاب.

كتاب
الإسلام والإنسان المعاصر
تأليف
فتحى رضوان

الإسلام والإنسان المعاصر

مؤلف الكتاب الأستاذ فتحى رضوان الذى استسمع سؤالا غير منطوق عن العنوان الذى اختاره لكتابه. فاستهل الصفحة الاولى بأن الأصل أن كل الشرائع انسانية، فما يضع مشرع قانونا، إلا وغايته أن يوفر للجماعة التى وضع لها هذا القانون، الأمن والقوة والسعادة. فإن لم ينص القانون على ما يوفر هذه الغايات الكبرى، فالأمر لا يخرج عن حالين: إما أن يكون ذلك عن قصور واضع الشرع، وعجزه عن تبين ما يحقق للناس السلام والرفاهية، وإما كرهه لذلك، ولكنه يضمره ويخفيه ويدعى معه أنه يسعى لما يسعد الناس، ويجهد فى فتح سبيل القوة والمتعة لهم، وقد يجد من يروج له دعواه، ثم يجد من يصدقها، ومع مر الأيام، تسوق له الظروف من يسبغ عليه - جهالة أو غرضا - صفة المشرع الحكيم، والحاكم الرفيق.

الشرائع كلها، إنسانية حقا، أو منتسبة إلى الإنسانية ادعاء فإذا كان ذلك صحيحا، فما معنى قولنا إن الإسلام، أو شرعه هو شرع إنسانى؟

وهنا يجيب المؤلف بأن الإسلام هو الشريعة التى استأثر بها وبأحكامها الاهتمام بالإنسان، والاحتفال بشئونه، ورعاية كل ما يتصل به: مبدئه ونفسه وروحه وعقله وعقيدته وفكرته، وعمله، وبدايته، ونهايته، وثوابه وعقابه وتفرده، ووحدته، واندماجه وجماعته، وأبنائه وزوجه وأمواله وثروته، وناره وجنته، وضعفه وقوته، وفضائله ورذائله، ودعاويه وأباطيله، والأمل فيه، واليأس منه، وأمور أخرى لا تعد ولا تحصى، تتصل بالإنسان قبل أن يخلق آدم، حتى آخر الزمان، هى مصدر كل أحكام القرآن، بل كل

الإسلام، بكتابه وسنته، وإجماعه وأقيسته، ووسائله كلها فى التشريع والتقنين... ولست تجد فى الأديان، منزلة وغير منزلة، ولا فى الكتب إلهية أو بشرية، أو فى المذاهب فلسفية أو دينية أو فى المناهج قديمة أو حديثة، من جعل الإنسان أساسا ومصدرا ثم جعله وسيلة وغاية، ثم جعله مجالا للبحث، ثم جعله رائدا يبحث، وينقب، وينظر فى نفسه، وفى الآفاق، وفيما حوله، وفيما سبقه، كما فعل القرآن الذى يصفه الرسول فيقول (هو نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم.)...

والكتاب عشرة فصول: الإيمان – الجهاد – المعجزات – إياك نعبد – الإسراء – فرعون مصر– إسرائيليات – إنا فتحنا لك – خلافة الإنسان – الإعجاز.

والمؤلف فى هذه الفصول كلها يبذل جهدا واضحا ترفده قراءة واسعة فى موضوعها أو موضوعه ولكن فصلين بعينهما يقف عندهما القارىء وقفة طويلة: الفصل السادس والفصل السابع.

وربما شدنى إلى هذا الفصل أنى كتبت سنة ١٩٧٤ فصلا عن «فرعون مصر» فى كتابى «أعيدوا كتابة التاريخ».

وقد التقى الأستاذ فتحى رضوان معى، فى أكثر من نقطة حول هذا الموضوع، فى كتابه «الإسلام والإنسان المعاصر».

استهل المؤلف فصل «فرعون مصر» بتكبيرة حميمة لما حظيت به مصر من شرف الذكر فى القرآن الكريم بما لم ينل شرفه بلد من البلاد فلم يذكر الله (بلدا آخر، لا فى الشرق ولا فى الغرب حتى ولا بلدا مما عرف العرب، واتصلوا به واختلفوا إليه كاليمن والشام، التى كانت قوافل العرب وفى مقدمتهم قريش تروح إليها، وتغدو منها، فهما فى القرآن الكريم رحلة الشتاء والصيف فحسب... حتى مكة مسقط رأس الرسول عليه السلام لم تذكر إلا مرتين: (وهو الذى كف أيديهم.... الخ) الفتح ٢٤ انظر ص ٢ . عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة) وقوله (إن اول بيت وضع للناس للذى ببكة) آل عمران ٩٦

ومثلها المدينة مرة فى الآية الحادية بعد المائة فى سورة التوبة (وممن حولكم من الأعراب منافقون، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) وفى الآية العشرين بعد المائة من السورة ذاتها (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) .

كما ذكرت (مدين) مرة دون أن يقرنها، موقعا، بوصف أو بيان ولكن مصر ذكرت في القرآن الكريم مرات:

(وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه) يوسف ٢١

(فلما دخلوا على يوسف أوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) يوسف ٩٩

(ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون) الزخرف ٥١

(أهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم). البقرة ٦١

وموضوع الإسرائيليات مر فى الكتاب سريعا سرعة يبدو معها مقحما عليه... وكان من الطبيعى قبل الحديث عن تفسير الحديث أن يطرح الكتاب الوضع فى الأحاديث نفسها، بله تفسيرها... وهو موضوع خطير يجب توضيحه للمسلم العادى مادام الموضوع قد طرق على أن هذا الموضوع، وفاه كتاب (المنار) للإمام ابن قيم الجوزية وأجمل علامات وضع الحديث فى:

اشتماله على المبالغات، تكذيب الحس له، سماجة الحديث وركونه مما يسخر منه، مناقضة الحديث لما جاءت به السنة مناقضة بينة، وضوح الادعاء فيه، أن يكون كلامه لا يشبه كلام الأنبياء، أن يكون الحديث باطلا فى نفسه، خوضه فى موضوعات لها أهلها المتخصصون فيها، أن يكون الحديث مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه، مخالفة الحديث صريح القرآن، وركاكة ألفاظ الحديث وسماجتها، ما يقترن بالحديث من القرائن التى يعلم بها أنه باطل.

وأكد الامام ابن قيم الجوزية بالأدلة القاطعة بطلان الألوان الآتية من الحديث.

أحاديث ليلة النصف من شعبان، أحاديث العقل، الأحاديث التى ذكر فيها الخضر وحياته والخضر موضوع واسع للإسرائيليات، كل حديث فى الصخرة، أحاديث صلوات الأيام والليالى، أحاديث ذم الحبشة والسودان، أحاديث الجار، أحاديث ذم الأولاد، أحاديث التواريخ المستقبله مما يدخل فى باب التنجيم، أحاديث عاشوراء، أحاديث فضائل السور، أحاديث المنتسبين إلى السنة فى فضائل أبى بكر الصديق، وأحاديث الرافضة فى فضائل على، أحاديث فى مناقب الإمامين أبى حنيفة والشافعى وأحاديث من آخرين فى ذمهما، الاحاديث السياسية ما بين مدح وقدح مما توزعه جمعيات المنتفعين على الدولة الأموية

والدولة العباسية بالعدل والقسطاس أحاديث الطقوس من وضوء وصلاة، أحاديث الأطعمة والطعام، أحاديث مدح الغربة، أحاديث الحياء.

ومن فضل الله أن ظاهرة الوضع فتح المسلمون عيونهم عليها محدثين وقدامى كالبخارى ومسلم والنسائى والعقيلى وابن حيان وابن عدى والأزدى والدارقطبى، وابن الجورى والعسقلانى، والساحى وابن حرم الصدفى الأندلسى والباجى سارح الموطأ وابن فرج الأندلسى الإشبيلى، والمارديبى، والبهنيسى والسيوطى وغيرهم.

والموضوعات الدينية البحتة فى هذا الكتاب تحتاج إلى إضافات كثيرة وعميقة. مثلا عقد المؤلف فصلاً عن الآية (إياك نعبد) فوقف طويلا عند كتب التفسير، كما وقف طويلا عند التقديم والتأخير فى لفظى (اياك) مما يسمى، (القصر) هذه اللفظة التى كان يمكن أن توفر سطورا كثيرة مما ورد بالكتاب وبعد المطاف وطول الطواف لم ينفذ الفصل إلى أعماق الآية الكبيرة.

فالإيمان فى الإسلام عندى هو ما استقر فى القلب وصدقه العمل فلا يقول قائل (إياك نعبد وإياك نستعين) ثم يتخذ من دونه أربابا. ولا يقول قائل (لا حول ولا قوة إلا بالله) ثم يخاف من إنسان حاكما أو محكوما. ومن هنا يكون الإسلام كرامة واعتدادا حتى كلمة عبد فيه تعنى منتهى الحرية لأن (عبدالله) تنفى أن يكون عبد غيره ممن خلق... من عبيده.

إن التوحيد فى الاسلام سر البطولة (لا غالب إلا الله) ليست تميمة ولكن عقيدة... الله تعالى فيه سمو على الأشياء وعلو على الصفات.

من هنا يكون الإسلام سلاما فى الروح وسلاما على الأرض إنه سلام يوم أعاد بناء الإنسان العربى، وهو سلام يوم أعاد السلام إلى نفوس تفرقت أشتاتا.

كل شىء يسكب السلام على النفس فهو إسلامى الانتماء.

الاسلام لكل الإنسان ولكل انسان.

(إياك نعبد وإياك نستعين)

ما أحرى هذه الآية بسيال من المعانى توحيها وتهديها معان يجب ان تلتفت اليها التربية فى البيت والمدرسة لتستقيم النشأة ويستقيم الإنسان فإن الخط المستقيم مركز الثقل فيه، داخله، ولكن الخط (المايل) مركز ثقله، خارجه. والإنسان الذى داخله خاو لا شيء فيه يرتكز عليه، أو إيمان يستند إليه، أو مبدأ يصدر عنه... إنسان لا يستقيم ولا يستقيم له أمر...

ومثل هذا الإنسان حين يتجوف من المعنى، أو يتخوف من مخلوق مثله، أو يتخوى من القيمة، فهو خاو، خاب... ولا تستوى الظلمات والنور.

كتاب
صلة الإسلام
بإصلاح المسيحية
تأليف
أمين الخولى

صلة الإسلام بإصلاح المسيحية

ألف هذا الكتاب أستاذنا أمين الخولى... كان موضوعه فى مؤتمر تاريخ الأديان الدولى السادس المنعقد بمدينة بروكسل سنة ١٩٣٥ .

وقد كتب مقدمة الكتاب الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى.

وقد وقفت طويلا عند المقدمة فصاحبها أحد أئمة الإسلام الذين يشرف بهم المسلمون لرجاحة العقل وسعة الأفق وحضارية النظرة وارتفاع الأسلوب معنى وفكرا ولفظا... وموضوعية العرض وشمولية المقارنة سبيلا إلى الحكم. عرض الشيخ المراغى للسلطة الكنسية ممثلة فى

* مسألة الاعتراف
* مسألة الغفران

وأن الإسلام لا يرى أن تزر وازرة وزر أخرى بل كل نفس بما كسبت رهينة. وهنا يقول فضيلة الشيخ المراغى:

(هذه الأصول التى وجدت فى الإسلام، جاء بها الإصلاح المسيحى، فهل الإسلام هو الذى قدمها للمصلحين كما يقول الأستاذ الخولى؟ أو من الممكن أن يكون سببها الرجوع إلى المسيحية قبل أن تشيع فيها البدع، وقبل أن تخلق الكنيسة رسومها التى سيطرت بها على الناس وحاطتها بسياج من التقديس؟؟.

ويتكلم فضيلة الشيخ المراغى عن اتفاق المسلمين على أنه لا حاكم إلا الله حتى الذين قالوا بحكم العقل قالوا إنه يدرك حكم الله. ولا ينشىء حكما فالله وحده صاحب السلطان. واتفقوا على أن ما جاء فيه وحى فمرده إلى الوحى.

وهنا يقول الشيخ المراغى:

(هذا الأصل من أصول الإسلام بلا شبهة، قد وجد فى الإصلاح المسيحى البروتستانتى، قبل الإصلاح بزمن مبكر... وإذا نحن أمعنا النظر بأغشية الضلال، ندرك بداهة أن شئون الآخرة، وطريق الوصول إليها مما يجب أن تكون الكلمة فيه للوحى... وقد كانت الأديان قبل طروء الفساد عليها على هذا المبدأ.. فالرجوع إليه قد يكون رجوعا إلى المسيحية، أو رجوعا إلى مقتضى العقل. لكننا نرجع فنقول إن الإسلام قدم المعرفة، وقدم أصوله الحقة للغرب ووجه العقل والوجدان، وأزال الأغشية عن البصائر فمن المحتمل جدا أن يكون له فضل الإصلاح.

هذا الإصلاح البروتستانتى يقول عنه المؤلف الأستاذ الخولى، إنه (**أكبر حادث متأخر فى حياة المسيحية بعامة، وأكبر حادث فى حياتها الأوربية بخاصة)** ومن أجل ذلك تسهل ملاحظة هذا الاتصال وآثاره فيه والتفاعل بين الدينين الكبيرين ومنهجى فى ذلك، البحث:

(١) عن الاتصال المادى بين الإسلام والمسيحية فى أوربا

(٢) الاتصال المعنوى بين الإسلام والمسيحية فى أوربا

(٣) آثار ذلك الاتصال فى أفكار الإصلاح المسيحى، وآراء دعاته، خلال تلك الأزمنة الطويلة.

أما **الاتصال المادى** فأظهر مظاهره بين الدينين: تلك المواجهة الحربية... **الحروب الصليبية.**

*** الاستعمار**

من الشرق للغرب، ومن الغرب للشرق ويؤخذ الأسرى من الجانبين ويطول مقامهم إلى أن يفتدوا ويعودوا إلى بلادهم ألسنة تعريف بما رأوا وسمعوا، بل بما تأثروا من المؤثرات الفكرية والدينية والعلمية للأمم التى خالطوها.

وقد تحدث عن هذا الأثر، الرحالة الإسلامى ابن جبير، وياقوت فى معجم البلدان...
وكتاب (الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة)

*** المصاهرة:**

وقد تكلم عنها روبرتسون وليم فى مقدمة تاريخ شارلكان كما تكلم عنها ابن الأثير (الكامل جـ ٥ ص ٨ ط مصر)

*** الحياة المدنية العادية والمصالح الاقتصادية القاهرة**

(وعلى هذا الأساس كانت للمسلمين الشرقيين والغربيين رحلاتهم الاقتصادية إلى قلب أوربا، وأقصى شمالها وغربها، مما كانت تطول مدته سنين بحكم صعوبة طرق الاتصال والنقل وبطئها).

*** الرحلات**

سياحات المسلمين وأثرها فى صلة الشعوب والأديان ورحلات الغربيين لأغراض مختلفة من نزهة وتطبيب واستفادة ووصلهم لما يشهدونه فى الأقطار الإسلامية فى كتب رحلاتهم وأحاديثهم.

بعد هذا ينتقل الأستاذ الخولى إلى الاتصال المعنوى

فيسجل أنه فى الوقت الذى كانت تجنح فيه الأمة الإسلامية إلى الاستقرار لتقوم بنصيبها فى خدمة المدنية الإنسانية شرقا وغربا، خلال المدة من القرن الثامن الى الثالث عشر الميلادى، فى ذلك الوقت كانت الحياة الاجتماعية والعقلية بل الدينية فى الغرب غافلة هامدة... حتى ليرى فى القرن التاسع الميلادى، رئيس المحكمة، وأعظم قضاة الدولة أميا لا يكتب، بل فى القرن الرابع عشر، فكان رئيس الجيوش الفرنسية، وأعظم رجال الدولة، وأول أكابر عصره، أميا. وقد سجل هذا قبل المؤلف: م. جيزو (M.Juzot) فى كتابه: التاريخ العام للحضارة فى أوربا بعد سقوط الامبراطورية الرومانية.

كما سجله جوستاف لوبون فى كتابه: تاريخ حضارة العرب

روبرتسون وليم فى كتاب تاريخ شارلكان

فيبر Weper– كتاب تاريخ العالم جـ ١ فقرة ٤٤٤ ص ٨٠٦

وجويد ودى روجيرو فى: تاريخ الفلسفة المسيحية

والفريد جيوم فى: تراث الإسلام.

ونشطت حركة الترجمة، بعد هذا، عن العربية.

وأقيمت معاهد للترجمة فى صقلية ونابلى وطليطلة وقشتاله وفرنسا، قام على رعايتها فريدريك الثانى، والفونس الحكيم القشتالى، وسكوت ميخائيل الأسكتلندى.

وعرف الأوربيون اللغة العربية بل العلوم الدينية الإسلامية والفلسفة للصلة القوية بين الفلسفة والحياة الدينية فى تلك الأزمة.

وفى هذه الحركة كانت إسبانيا الإسلامية، أداة هامة فى نقل تأثير العرب إلى أوربا التى تأثرت تأثرا شديدا بالإمام ابن حزم. كما تأثرت بالغزالى وابن رشد.

وقامت فى الغرب حركة تحرر العقل والصراع بين **الكنيسة والحرية** العقلية متأثرة بالمؤثرات الإسلامية.

وقد فصل الأستاذ الخولى هذا تفصيلا كبيرا لا تعوزه الأسماء والأماكن والشواهد والتواريخ.

كتاب
من هدى القرآن
(فى أموالهم)
تأليف
أمين الخولى

من هدى القرآن
(فى أموالهم)

ألف هذا الكتاب أستاذنا أمين الخولى.

تحدث به أحاديث مرسلة عبر الأثير فى الخمسينات وأصدره سنة ١٩٦٣.

وصدر بإهداء، نحن فى حاجة إليه ١٩٩١ بعد ثلاثة عقود من عمر الأيام.

إلى

الذين يريدون ليحلوا مشكلة المال
حلا تطمئن له القلوب بهدى القرآن

تكلم الأستاذ الخولى عن الواقعية والمثالية فى القرآن الكريم باعتباره يبدأ من الواقعية وينتهى إلى المثالية، مثالا بصيرا فى حكمة التدرج والأخذ بيد الضعيف...

ومن الضعف... الجهل

ومن الضعف... التخلف

ومن الضعف... الجمود

وعن «الواقعية» و «المثالية» فى موضوع المال ووجوه إنفاقه يقول: (القرآن، كدأبه، الذى أنسناه منه، يجمع بين الواقعية والمثالية فى ذلك التدبير، جمعا لبقا، مرنا، مسايرا للحياة، مهيئا للإنسانية أسمى ما تستطيع التطلع إليه من الآفاق.

فهو حين يحمى الملكية الفردية واقعي: لا يفاجأ الناس بتجريدهم من أموالهم، تجريدا يفتر همتهم، ويثنى عزائمهم، ويقعدهم فلا يبتكرون ولا يجددون، ولا يذودون عن حماهم.

ثم هو حين يهز أسس هذه الملكية الخاصة، كما رأينا، يكون مثاليا: يكفكف من غلواء الأغنياء، ويزلزل صلتهم بأموالهم، ويجعلها للناس جميعا، وأصحابها عليها أمناء مستخلفون، وهو مال الله، لا مالهم.

وبهذا التعديل الدينى الأساسى، السماوى الصبغة، الإلهى الروح، يوقيهم أخطار الجموح، فى التملك، والوصول إليه بأى وسيلة، وإهدار الخلق، والفضيلة، والإسراف فى التمتع، ونسيان حق الجماعة، أى حق الله، والذى هو صاحب المال.

ثم يمضى الناس، فى طريقهم، يتقدمون، ويتعلمون، ويرقون ويتطلعون إلى المثل السامية، فتهيىء لهم مثالية القرآن من ذلك ما لو صار عموما محضا واشتراكا كاملا، ونسيانا للذات تاما، لما رأى فيه القرآن بأسا، ولا حال هديه دونه.

فليهذبوا غزيزة التملك ما استطاعوا، وليعدلو بيئتهم ما تساموا فتلك مرامى القرآن وتوجيه هديه).

والأستاذ الخولى يرفض القول باشتراكية الإسلام الذى يفتح الباب لكل صاحب مذهب أن يلصقه بالإسلام اعتسافا أو إجحافا.

(وما أحسب إلا أن القول باشتراكية الإسلام اليوم، أو برأسماليته أمس، أو بشيوعيته غدا لا يفترق عن القول بأن الإسلام فى أى وقت، كان هو مذهب كذا فى العقائد، أو هو مذهب كذا فى العبادات أو المعاملات لأن الإسلام بقرآنه أسمى مرمى، وأبعد هدفا... وأعمق تناولا وأخلد بقاء من كل أولئك).

وهو حين يرفض أى مشابهة بين الإسلام وغيره من المذاهب، إنما يعلى من مثالية الإسلام التى تهيئه للخلود. ومن هنا كان عنوان هذا الفصل: (**مثالية مذهبية**).

حتى يقرأ فى أى بلد إسلامى.

ويصل لأى عصر إسلامى... دون أن يلم بشىء من مذهبية.

وأورد الآيات الكريمة فى الموضوع من سور: النور، والشورى، والعنكبوت، والحديد، وآل عمران، وفاطر، والبقرة، والإسراء، والأحقاف، والزخرف... لنتذكر ما يشف به الحس القرآنى الكريم، فى ذكر القرض الحسن إذ يسمى هذا الإعطاء والنضال فى سبيل الخير العام، قرضا حسنا، وقرضا لله تعالى، فلا يسميه منحا ولا تفضلا، أو ما يشبه هذا.

ويتحدث عن رغبة التملك على مستوى الفرد والجماعات والأمم... هذه الرغبة فى الإنسان على اختلاف شئونه وتغير ظروفه، سواء فى الأولى، أيام حياة الغابة، أو فى خطواته الحضارية على تمادى الأزمنة: نصف متحضر، أو متقدما فى الحضارة، بعيد الأمل فى التمدين... يطلقها فى أول حاله، أو ينظمها بالأديان والشرائع والأخلاق، فى مختلف أعصره...

إنها رغبة التملك التى تبدو فى فجر الحياة، ملكا شائعا عاما، ثم ملكا تنظم أسبابه، وانتقالاته، وتحدد فيه الحقوق والواجبات والمشروع منه، وغير المشروع... والإنسان فى كل حين هو الإنسان... يرضى تلك الرغبة بمختلف الوسائل والأساليب يقنع الخيرون منه بما حل، ويطمع الأشرار منه فى المحرم، بما تدفعهم إليه الشهوة المسيطرة والرغبة المتحكمة، سواء فى ذلك الأفراد الآحاد والجماعات من أمم وهيئات.

يقول الأستاذ الخولى (فى تبين المسلك القرآنى فى توجيه الحياة العلمية نرى أول ما نرى، أن هذا القرآن يحرص أول ما يحرص، على أن يترك للعقل حريته كلها فى مواجهة مشكلات الحياة وواقعاتها... وأساس ذلك كله أنه لا يقدم تفصيلا جزئيا لمشكلة من المشكلات كمشكلة التملك أو غيرها...

على حين لا يرفض من قول التجربة الصادقة وما تقضى به المصلحة الحقة رأيا، بل يتلقى ذلك كله، فى رحابة صدر، تقدر التطور وتقدر ما يجد للناس من شئون تتغير على الأيام وتختلف باختلاف الزمان والمكان، فلا يحدها تفكير عصر معين، ولا يوقفها تحديد عقل بذاته فى مستوى محدود، ولا يعوقها ألا يكون السابقون ممن فسروا الدين أو مارسوا التشريع لم يشعروا بها، ولم تحتج إليها حياتهم فى عصرهم... لأن ذلك كله من عمل الناس لا يحتكم فى الأصل الأول والأساس الأكبر من هدى القرآن، الذى اجتنب هذه الجزئيات المتغيرة ومن تلك الكليات الواسعة الشاملة.

أقر القرآن الكريم حب الإنسان، المال مقدرا للواقع خبيرا به لطيفا فى تناوله. يقول الله جل شأنه : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) .آل عمران:١٤ .

وفى الوقت نفسه ينهى عن الإعجاب والاغترار بالمال (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم) الأنفال ٢٨ .

وعن المفسرين لمنهج القرآن الكريم فى هذا الموضوع وضح الكتاب كيف يتكيف التفسير بظروف العصر فيتسع الفارق بين الطبرى فى القرن الثالث الهجرى وبين الزمخشرى والنيسابورى بعده، بعدة قرون.

وحين حبب الله إنفاق المال فى سبيل الله وجعله (... كمثل حبة أنبتت سبع سنابل، فى كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) البقرة ٢٦١ .

والانفاق فى سبيل الله يكون فى عصرنا الحاضر باستثمار أموال المسلمين فى بلاد المسلمين تعلم جاهلهم مدارس ومعاهد ومراكز بحث وجامعات.

وتشفى مريضهم مستشفيات ومصحات.

وتفتح باب العمل لعاطلهم مشروعات استثمار فى الصناعة والزراعة وتكريم الحياة بالقيمة.

وتحصن أوطانهم بالعلم والعمل وأسباب القوة جميعا فلا يكون بأسهم بينهم شديدا تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى بل رحماء فيما بينهم أشداء على الأعداء وحدهم...

يومئذ يملك الإسلام الكلمة والقرار.

ويفوز المسلمون بعز الدنيا ورضوان من الله أكبر (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل، والله بما تعملون بصير) البقرة ٦٥ .

وغير هذا وبعيد عنه، الإسراف المبدد للمال فهو طرف مقابل للبخل، إذ يرغب الراغب فى المال ليسرف فى نوال لذاته به، وإرضاء شهواته عن طريقه، لأنه الذى يمكنه من ذلك، فهو يحب أن يملك كثيرا ليصرف كثيرا... وذلك جموح أيضا فى غريزة

التملك وهو كما يقول الأستاذ أمين الخولى ما يعمد إليه الناس فى البيئات التى لم تصب من الرقى البشرى حظا كبيرا.

ويسجل الأستاذ أمين الخولى ظاهرة قرآنية تدق على النظر العجلان هذه الظاهرة **هى التعبير بالإيتاء** فى موضوع الزكاة لا يغير هذه اللفظة فى بضع وعشرين مرة على كثرة ما قال عن الزكاة فتراها فى صور متعددة: أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة... وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة... والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة.

يستعمل القرآن الكريم لفظ (الإيتاء) من **دقة ورقة** فإن المادة كما يقول الأستاذ الخولى ترجع فى أصل معناها جملة إلى الإستقامة فى السير والسرعة فى السير، والسرعة فى العطاء كما أن منها المجىء بسهولة ومن هنا تحس إيماء التعبير القرآنى حينما يخصها بالتعبير عن أداء الواجدين لزكاة أموالهم حين يؤدونها لأصحاب الحق فيها... ويؤدونها من مال الله الذى آتاهم، وينفقون مما جعلهم مستخلفين فيه، فما أقوى أن يشعر التالى المتأمل من قريب وفى قوة: أن الحرص على استعمال هذه المادة فى أداء الزكاة إنما هو التعبير عن **إعطاء فى سرعة** واتجاه إلى الإعطاء يتم فى **سهولة** والسير فيها على أنفسهم ويكمل التلميح التصريح فى رياضة القرآن للمالكين ودفعهم إلى الإعطاء **السمح الرضى السهل السريع** فى الزكاة من الواجد لغيره فلا يشعر معه أنه متفضل ومعط وذو يد عليا وينتفى ذلك الشعور فى نفسه كلما زكت روحه، وسمت نفسه وينبه من ليس له كبير حظ من هذه الرقة فيكون ذلك هو الشعور الشامل، والنغم المتسق فى حديث القوم عن الإعطاء.

وكثير من الأتقياء فى خلوص من يقول حين يعطى:

(أعطاه ربنا ما أعطاه).

ويجىء وصف الله تعالى بأنه هو: الذى يأخذ الصدقات **قصدا**... إن هذا وما إليه من صنيع القرآن لا يجىء عفوا، ولا يكون اتفاقا بل هو روح المعنى ونفحة من سر الصياغة يلتمسه الشاعرون بروعة الفن القولى فى القرآن... الذى هو مصدر الهدى النفسى والاجتماعى الذى تصلح به الإنسانية مهما يكن تقدمها العلمى والعملى.

ومن اللفتات المهمة فى هذا الكتاب، وقفة الأستاذ أمين الخولى عند كلمة (إحسان) فى القرآن الكريم مبددا ما يقع فيه القارىء من التباس... فالإحسان ليس كما يفهم الناس

التفضل والإنعام ولكنه **التمام والأداء والتصرف الحسن** (فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف، وأداء إليه بإحسان).

إذ يقول جل شأنه (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) البقرة ٢٢٩.

وكذلك قوله: (إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا) النساء ٦٢.

أو قوله في الوصية بالوالدين: (وبالوالدين إحسانا) البقرة ٨٣.

ومعاذ الله أن يكون فعل الولد مع الوالدين إنعاما وامتنانا وتفضلا.

ويسأل سائل الرسول عليه السلام: ما الإحسان؟

فيقول: هو أن تعبد **الله**، كأنك تراه ....،

فهو بهذا البيان إخلاص به يتم الإسلام والإيمان.

وفى المثل الشعبى المصرى (لاقينى ولا تغدينى) إحساس دقيق ورقيق يرتفع على المادة إلى عالم المعنى بموداته ولمساته.

ومراعاة شعور الناس والبسطاء خاصة ممن تمثل الأمثال تجارب حياتهم، يجب أن يرعاه ويقدره كل من له صلة بالحياة العامة.

وفى فصل (**الاتزان**) عرف الأستاذ أمين الخولى الوسط فى الآية الكريمة (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا). بأنه الاتزان.

وهو يعلم يقينا ما تقوله فلسفات الأخلاق فى (الوسط) بأنه المنطقة بين طرفين من مثل قولهم الفضيلة وسط بين رذيلتين وهو كما يقول الأستاذ الخولى (مسلك فى فهم القرآن لا أهتم له، ولا أعبأ به، رغم خلابته وبريقه: بل أؤثر فهم الكتاب الكريم فى حدود المعنى اللغوى، الذى عرفته العربية، عند نزول القرآن، ثم أقبل ما يتحمله هذا المعنى فى أصله اللغوى، ومعدنه العربى، من حقائق... هى فى فطرتها أفضل عندى وأولى، من ذلك كله، بل هى أبقى وأخلد، وأفسح أفقا، من هذه المعانى المتكلفة المستعارة المجتلبة).

أقول: هل لو كانت أمة الإسلام، أمة بالمعنى الجامع، تستهدى هذا النص بل تلتزم به هل كانت الساحة الإسلامية تعج بما تغص به من فقر مدقع... وغنى فاحش.

من حرمان مذل... ورخاء مفسد

من كبت مرير... وتبجح غليظ أشر

من أوضاع مهينة... وأوضاع منتفخة فى خيلاء

سؤال:

وحسب الجواب أن يكون الأكرم والأخلد صانعى النهار وأصحاب الحضارة بعلومها وفنونها وقيمها.

(ولكل درجات مما عملوا، وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون) وإن ارتباط المنزلة والدرجة بالعمل ذلك الارتباط القوى الوثيق مصداق لما نقول.

ونسمع حولنا آراء تتوزع الأرض فديمقراطية وشيوعية ومبادىء هادمة ومبادىء بانية وليت أيا من هذه المبادىء - دون تحديد - يستهدف كرامة الآدمية... كرامة الإنسان (شعورا يدفع إلى عمل، فتكون مقاومة الشر بالخير... ومناضلة الفساد بالإصلاح إصلاحا حقا، جادا عاملا نافذا، ناجزا...) ولكن...

وصاحب الكتاب يسخر مما يعج به مجتمعنا من تناقض حتى فى الخطوط الكبيرة فيرى المرء العجب العجاب من ذلك التنافر، كما يقول الأستاذ الخولى فيسمع عن الفقر فى المسرح، الموجع المؤلم.. وعلى أمتار من المسرح يسمع عن الفقر فى المعبد نقيض الذى سمع به فى المسرح... ومايزال يجد ظواهر هذا التنافر المكروه منتشرة فيتحدث إليه المتحدث فى مجلس عن آداب الفقراء وفضل الفقراء، وتقدم إليه فى ذلك كتب، كما أنه يحاضر إلى جانب ذلك عن آلام الفقراء، ومصائب الفقراء وجنايات الفقر... فإذا الفقر يسعد به الناس!! وإذا الفقر تبتئس به الأمم.. ومجتمعنا فى أمر مزيج، وموقف مختلط متضارب... فما هذا الفقر المشقى وما ذاك الفقر المسعد؟.

والحقيقة والصواب كما يقول الأستاذ الخولى:

إن الفقر فى اللغة الضعف، وأن الفقر كالضعف وزنا ونطقا، فهو الفقر - بالفتح - والفقر - بالضم - كالشعف والضعف بهما.

وأصل الفقر لغة من كسر فقار الظهر وعقد سلسلته فيقال رجل فقير إذا كان مكسور فقار الظهر فالفقر ضعف بسبب قلة المال، وكأنما المال هو العمود الفقرى للحياة، وقد كسر

فى من أعوزه ذلك المال إذا انكسرت فقار ظهر حياته فسمى فقيرا، كما سمى مكسور فقار الظهر الحسى فعلا فقيرا.

ويغوص الرجل فى القرون السابقة ليجد أصل هذه المشكلة من مشكلات الاجتماع من مثل قول بعض الأقدمين (خير الأمة فقراؤها وأسرعها تضجعا فى الجنة ضعفاؤها!! والفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن!! على خد الفرس، وتحفة المؤمن فى الدنيا الفقر!! إلى فصول فى مزايا الفقر ضمها كتاب السلوك!.

وحاشا لله أن يعزى هذا إلى الآية الكريمة (يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله. والله هو الغنى الحميد) فالمراد هنا فقراء إلى فضل الله الغنى المطلق... فلا غنى فى الواقع إلا غنى واحد... هو الله وكل من عداه محتاجون إليه، ليمد وجودهم بالدوام... فهم فقراء فى التمرد... فقراء فى التجبر وليسوا فقراء فى المال ولا فقراء فى الحرمان ولا فقراء إلى أحد يمنعهم أو يعطيهم... يذلهم أو يمن عليهم.

لقد كان الرسول الكريم يتعوذ من الفقر ويقول: اللهم إنى أعوذ بك من الفقر... وكان من صحابته، والأرجح أن يكون على بن أبى طالب، من يقول (لو كان الفقر رجلا لقتلته) وهنا نقول:

الفقر فقران:

* الفقر المادى وهذا تعوذ منه الرسول على قناعة فيه من غنى النفس عنده.

* الفقر إلى الله مهما كان الإنسان قويا بالمال أو الجاه... أى الفقر الكابح لجماح النفس الشاعر بحاجته إلى قوة فوقه فهو يجنب من تحته قوته، لأن قوة أعلى منها تردعها... وإنما كره الرسول عليه السلام الفقر المضطر المحتاج، المذل، القاتل للكرامة والآدمية، الممزق للوحدة المثير للحقد والفرقة والفوضى والاضطراب.

هذا هو الفهم المستقيم للإسلام فى أفقه الأعلى وهذا بعينه ما فهمه الصوفية أنفسهم حين سموا أنفسهم الفقراء.

لقد شبه الإمام الغزالى، المال، فى كتابه (إحياء علوم الدين) بأنه كالماء... والله سبحانه يقول (وجعلنا من الماء كل شىء حى) وبذلك نستطيع أن نقول مع الأستاذ الخولى إن تتمة تشبيههم للمال بالماء: إن منه حياة الفرد حياة كريمة، وإن منه حياة الجمع حياة عزيزة، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين..

كتاب

الإسلام دين العلم والمدنية

تأليف

الشيخ محمد عبده

الإسلام دين العلم والمدنية

ألف هذا الكتاب الشيخ محمد عبده.

الحقيقة أنى أريد أن أقول (من عيون رجال الدين) فالموضوع تكلم عنه مسلمون بل ومسيحيون مثل سيجريد هونكه الألمانية و «سارنون» و «لالاند» و «سخاو» وغيرهم.. ولكني اخترت هذا الكتاب لأن صاحبه رجل دين فاختيارى الكتاب ليس لعرض موضوع راسخ ولكن لعرض الأفق الواسع المضيء والمستضيء لصاحبه تأكيدا لسماحة الإسلام ورحابة أفقه وصدره معا، واحترامه الرأى، وقبوله الاجتهاد.

حيث يشق الأسماع ويشق عليها في أواخر القرن العشرين هذه الكلمات «الفتنة الطائفية» - «التعصب» من الجانبين - «الحرام» - «الحلال».

حين يغص صفاء الإنسان بهذه الكلمات فى أيامنا نحن على مشارف القرن الحادى والعشرين، نرى الشيخ «محمد عبده» فى القرن التاسع عشر، يؤلف جمعية سياسية دينية باسم «جمعية التقريب بين الأديان السماوية» تعمل على إزالة الشقاق بين أهلها، والتعاون على محو الاستعمار من الشرق، وتعريف الغربيين بحقيقة الإسلام من أقرب الطرق، وقد انضم إلى هذه الجمعية مؤيد الملك أحد وزراء إيران، وحسن خان مستشار السفارة الإيرانية فى الآستانة، وبعض الانجليز أنفسهم.

وانضم إلى عضويتها القس «اسحق تيلو» أحد رجال الدين فى لندن بل كان هو داعية لها فى انجلترا. كما انضم إليها «مستر جى دبليو لينتز» مفتش المدارس بالهند، وكان

الأستاذ الإمام رئيسها وصاحب الرأى الأول فى موضوعها ونظامها، وكان ميرزا باقر هو الأمين العام لهذه الجمعية.

وقد كتب مستر جى دبليو لينتز، فى ذلك الحين مقالا بجريدة «الديلى تلغراف» بعددها الصادر فى ٢ فبراير سنة ١٨٨٨ يقول إنه أتيح له تعلم اللغة العربية والقرآن الكريم فى مكتب إسلامى بالآستانة قبل حرب القرم، وأنه فتش مئات المدارس الإسلامية فى الهند وهو بذلك يشهد بأن ما يشاع عن الإسلام فى أوربا مما يلصقه به أعداؤه، بهتان لايصح أن يقبله عاقل أبدا.

ولا يتناقض مع هذه الجمعية وأهدافها قول الشيخ محمد عبده (إن الديانة المسيحية بنيت على المسالمة والمياسرة فى كل شىء وجاءت برفع القصاص والزهد فى السلطة والدنيا جميعا، وهنا يقول الأستاذ الإمام:

(يعجب المرء كل العجب من أطوار الآخذين بهذا الدين السلمى المنتسبين فى عقائدهم إليه، فهم يتسابقون فى المفاخرة والمباهاة بزينة هذه الحياة ورقة العيش فيها، ولايقفون عند حد فى استيفاء لذاتها، ويسارعون فى افتتاح الممالك والغلب على الأقطار **الشاسعة** ويخترعون كل يوم فنا جديدا من فنون الحرب، ويبدعون فى اختراع الآلات الحربية القاتلة، ويستعملها بعضهم فى بعض ويصولون بها على غيرهم، ويبالغون فى ترتيب الجيوش وتدبير سوقها فى ميادين القتال، ويصرفون عقولهم فى أحكام نظامها حتى وصلوا غاية صار بها الفن العسكرى من أوسع الفنون وأصعبها).

ووجه العجب أساسا أن المرء يرى على الجانب الآخر، الإسلام، الذى يدعو إلى القوة سبيلا إلى المهابة حتى لا يجرؤ عدو على التقحم أو انتهاك بلدانه، شعوبه مستضعفة حتى حين تأخذ بأسباب القوة فإنما تلتمسها من غيرها مقابل الكثير من مالها وإرادتها معا.

والأستاذ الإمام محمد عبده يقف فى كتابه عند موضوع خطير له أبعاده فى المعاناة الإسلامية الحاضرة.. ذلك هو الوضع والوضاع فى الدين الإسلامى يقوم به أقوام (بلباس الذين خلطوا بأصوله ما ليس منها، فانتشرت بينهم قواعد الجبر، وضربت فى الأذهان حتى اخترقتها وامتزجت بالنفوس حتى أمسكت بعنانها عن الأعمال، هذا إلى ما أدخله الزنادقة فيما بين القرن الثالث والرابع وما أحدثه السوفسطائيون الذين انكروا مظاهر الوجود وعدوها خيالات تبدو للنظر ولاتثبتها الحقائق، وما وضعه كذبة النقل من

الأحاديث، ينسبونها إلى صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ويثبتونها فى الكتب، وفيها السم القاتل لروح الغيرة، وأن مايلصق منها بالعقول يوجب ضعفا فى الهمم وفتورا فى العزائم.

وتحقيق أهل الحق وقيامهم ببيان الصحيح والباطل من كل ذلك لم يرفع تأثيره عن العامة خصوصا بعد حصول النقص فى التعليم والتقصير فى إرشاد الكافة إلى أصول دينهم الحقة، ومبانيه الثابتة التى دعا إليها النبى وأصحابه).

وفى كتاب الإمام رده المفصل على هانوتو الذى ناصب الإسلام العداء ولم يلبث أن كشف عن فزعه من خطر الإسلام كما تصوره.. يعرب عن هذه قوله: (لايوجد مكان على سطح المعمورة إلا واجتاز الإسلام فيه حدوده منتشرا فى الآفاق وهو الدين الوحيد الذى تفوق شدة الميل إلى التدين به كل ميل إلى اعتناق دين سواه).

لقد وصف هانوتو الحج والحجيج وصف «ظاهرة» يرصد كل كبيرة وصغيرة فيها.

إنه قلقه.. أى قلق الغرب الذى يتبدى فى أكثر من صورة يقول هانوتو (فى مسألة علائقنا مع الإسلام نجد المسألة الإسلامية والمسألة الدينية والمسائل الداخلية والخارجية شديدة الاتصال والارتباط بعضها ببعض وهذا يجعل حلها صعبا ومتعذرا بينما يصرح هانوتو أن السلطة المدنية فى أوربا أهم وأشد من الرابطة الدينية، أوربا مقدم عندها مصلحتها السياسية والاقتصادية ويأتى الدين بعد هذا. لقد تحالفت مع الدولة العثمانية ضد دول مسيحية لا إيمانا بعدل، أو إنصافا للإسلام ولكن لأن مصلحتها السياسية والدينية تقتضى هذا.

الدين فى أوربا وسيلة سياسية لاغاية إنسانية كما جاء فى الرد الثانى للإمام على هانوتو (مسيو هانوتو لاينكر أن أوربا تعتمد على الدين فى سياسة الاستعمار وأن الارساليات والجمعيات الدينية من أهم الوسائل لديها فى إعداد الشعوب إلى قبول سلطانها عند سنوح الفرص لسوقه إليها، وتهيئة نفوس الأمم لاحتمال ما ينقض به ذلك السلطان متى أظلهم، وفى فتح المغالق التى لا يستطيع السلاح وحده أن يفتحها، وتمهيد السبل التى لايمكن لساعد الجندى وحده أن يمهدها).

تكلم الأستاذ الإمام فى تفصيل عن سماحة الإسلام فقد جاءت السنة المتواترة بالنهى عن إيذاء أهل الذمة وبتقرير ما لهم من الحقوق على المسلمين (لهم مالنا وعليهم ما علينا) و (من آذى ذميا فليس منا).

يقول الأستاذ الإمام (استمر العمل على ذلك ما استمرت قوة الإسلام.

ولست أبالى إذا انحرف بعض المسلمين عن هذه الأحكام، عندما بدأ الضعف فى دولة الإسلام – وضيق الصدر من طبع الضعيف – فذلك مما لا يلصق بطبيعته، ويخلط بطينته).

وحين تفرق الشرائع بين الابن وأبيه إيثاراً للإيمان بها، يقول الإسلام فى كتابه فى شأن الوالدين المشركين (وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى) وساق الأستاذ الإمام فى مجال المقارنة ما جاء فى سفر تثنية الاشتراع:

(وإذا غواك سراك أخوك ابن أمك أو ابنك أو بنتك أو امرأة حضنك أو الشعوب القريبة منك أو البعيدة عنك من أقصاء الأرض إلى أقصاها فلا ترضى منه ولاتسمع له ولاتشق عينك عليه ولاترق له ولاتستره بل قتالا تقتله).

وفى سفر التثنية أيضا «٢٠ : ١٠-١٦» ما نصه (حين نقرب من مدينة لتحاربها ادعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كلها غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك الذى أعطاك الرب الهك، وهكذا نفعل بجميع المدن البعيدة جدا منك التى ليست من هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منهم نسمة ما).

لقد أعطى الإسلام صورة إنسانية مشرفة لمودة المخالفين له فى العقيدة.

لم يفرق الدين فى حقوق الزوجية بين الزوجة المسلمة والزوجة الكتابية ولم تخرج الزوجة الكتابية باختلافها فى العقيدة مع زوجها من حكم قوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فلها حظها من المودة، ونصيبها من الرحمة، وهى كما هى. وهو يسكن إليها كما تسكن إليه ولايخفى ما فى صلة المصاهرة التى تحدث بين أقارب الزوج وأقارب الزوجة ومايكون بين الفريقين من الموالاة والمناصرة على ما عهد فى طبيعة البشر؟ وما أحلى ما يظهر من ذلك بين الأولاد وأخوالهم وذوى القربى لوالدتهم. يقول الأستاذ الإمام:

أيغيب عنكم ما يستحكم من ربط الألفة بين المسلم وغير المسلم بأمثال هذا التسامح، الذى لم يعهد عند من سبق ولا فيمن لحق من أهل الأديان السابقة عليه؟ ولايخفى على صحيح النظر أن تقرير التسامح على هذا الوجه فى نشأة الدين مما يعود القلوب على الشعور بأن الدين معاملة بين العبد وربه، والعقيدة طور من أطوار القلوب يجب أن يكون أمرها بيد علام الغيوب، فهو الذى يحاسب عليها، وأما المخلوق فلا تطول يده إليها) .

تحدث الأستاذ الإمام عن جمع الإسلام بين مصالح الدنيا والآخرة .

فالرسول عليه السلام يقول لمن استشاره فيما يتلقاه من مال (الثلث، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس) .

الإسلام يبيح الإفطار فى رمضان إذا خشى من الصوم، المرض أو زيادته أو زادت المشقة فيه جاز تركه بل قد يجب إذا غلب على الظن الضرر فيه .

وفى هذه العبارة سماحة ما بعدها سماحة .. يبيح الله للمؤمن أن يتخفف من فريضة، إذا غلب على الظن مجرد الظن، الضرر من أدائها .

ومن سماحة الإسلام وتلطفه فيما يطلبه من واجبات: هذا المثال:

السعى إلى الجمعة واجب إلا إذا كان هناك وحل غزير، أو مطر كثير، أو ما يوجب تعبا ومشقة فيسقط .

وهكذا القاعدة فى الإسلام:

صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان كما يقول الأستاذ الإمام محمد عبده معتزا بأن الدين قد راعى فى أحكامه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح .

أقول توهج الإسلام بحب الحياة فاعترف بمتاعها وطيباتها وطيوبها . فلا انطوائية ولا قوقعة ولا زهد ولا رهبنة . زهاده اختيار وأسلوب شخصية .

الإسلام أنيق يحب الجمال والزينة والنظافة . أوجب طهارة الجسم كالروح وزكى الطيب والخضاب وأباح التزين، وأتاح المتعة فى غير حرام، وألزم بالوضوء والاغتسال، فكان نظاما جامعا للدين والدنيا ..

ويفرض هذا نصا ... وطقسا ... ثم بالإيحاء أو الإغراء أو الاقتداء حين يبثه فى ثنايا أقوال ومعان كثيرة ولكن دون إسراف .

بل نهى عن الغلو فى الدين.

يقول الأستاذ الإمام (خشى على المؤمن أن يغلو فى طلب الأخرى فيهلك دنياه وينسى نفسه منها فذكرنا بما قصه علينا أن الآخرة يمكن نيلها مع التمتع بنعم الله علينا فى الدنيا إذ قال: (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخر ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد فى الأرض. إن الله لايحب المفسدين).
(سورة القصص آية ٧٧)

ومما ألمح إليه الأستاذ الإمام أن:

طلب العلم فى الإسلام دون قيد ودون تخصيص أى علوم الدنيا وعلوم الدين.

وعقد الأستاذ الأمام فصلا إضافيا عن (اشتغال المسلمين بالعلوم الأدبية والعقلية) يقول الفيلسوف جوستاف لوبون (إن المسلمين أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين).

وحين اتهم «رينان» الاسلام بالجمود رد عليه الأستاذ الإمام ردا مفحما ولكنه فى الوقت نفسه ندد بجمود بعض المسلمين لا الإسلام فى باب اللغة كما ندد بجناية الجمود (على النظام والاجتماع) بل على (الشريعة وأهلها)... ندد بجناية (الجمود على العقيدة) ولكنه فى النهاية قال إن (الجمود علة تزول) وأسهب فى شرح هذا.

تكلم عن أمراض المجتمع الإسلامى وأسبابها وبعد هذه الأسباب عن الدين فهى لم تكن لتظهر وتتفشى وتستشرى لو فهم الدين فهما صحيحا. وفى حديثه عن هذه الأمراض تشخيص وتطبيب فهو، يطب، لها ببيان وسائل البرء والتخلص منها. وهذا شأن الدعاة الأذكياء الواعين.

هذا النموذج العالى من رجال الدين ما أحوجنا إليه.

ليت خطبة الجمعة التى تخاطب الجموع الغفيرة تستشرف إلى هذا المستوى بدلا من (الكلام) المعاد فى الحلال والحرام...

من أجل هذا اخترت كتاب الإمام، واحدا من عيون الكتب.

كتاب
قراءات فى الفكر الإسلامى
تأليف
عبدالرحمن الشرقاوى

قراءات فى الفكر الإسلامى

ألف هذا الكتاب الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى.

ليس أكبر كتبه بمقياس عدد الصفحات ولكنه من أعمقها وأرجحها بنفاذ النظرة وحرية الرأى وذكائه.

يتساءل المؤلف : ما هو الإسلام؟ أهو دين أم ثورة؟

ويجيب إن الذين يطرحون هذا السؤال لايقدرون الإسلام حق قدره فما ينبغى أن يضعوا الثورة فى مواجهة الدين، أو يعارضوا الدين بالثورة.

لقد جاء الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى الثورة فهو ثورة على أوضاع مختلفة.. ثورة غيرت أسس المجتمع، وأشكال العلاقات الاجتماعية، ولكنها ثورة تنبع من القواعد التى قامت عليها أركان الدين: من شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

إنه دين الحرية.. حرية الرأى وحرية الاختيار.. وإن الشعور بالحرية الذى يضىء جنبات المؤمن الورع ينبع من ثقته بالعدل، ومن إيمانه بأنه قوى بطاعة الله، غنى بالإيمان، ومن هنا تنبع فضائله الإنسانية.. ومجتمع تسوده الفضائل، قادر على أن يجعل الحياة تستحق أن تعاش.

ويضرب المؤلف مثلا بالصيام.

إنه ليس الجوع والعطش. إنه شعور متفوق يحس معه الصائم أن خضوعه لله عزة وأنه إذا قهر نفسه، واستغنى عن كل ما يشتهيه، أصبح قادرا على أن يقهر كل ما يستعبده، ومن هنا تنبع حريته، وعظمته أيضا.. إنه قادر على أن يتخذ موقفه الثورى من كل ما يعوق التقدم الإنسانى.

لقد احترم الشخصية الإنسانية.. أقول حتى كلمة «عبد» فى الإسلام منتهى الحرية، لأن «عبد الله» تنفى أن يكون عبد غيره ممن خلق.. من عبيده.

لقد احترم الإسلام، العقل حين جعل التفكير كما يقول أستاذنا العقاد، فريضة إسلامية.

لقد شرح ابن طفيل المسألة عقلانيا، ولكن التجربة الدينية بصيرة.. انفتاح.. التجربة الدينية لاتعادى العقل، ولكنه أبعد منه مدى..

كان التوحيد الإسلامى هو المحور الثقافى.
توحيد الذات، فلا انفصام ولا تشقق.
توحيد المجتمع، فيبرأ من الشيع والتطاحن.
توحيد العالم نحو القيمة الكبرى أى الله.

ومن هنا يأتى التدين فى الإسلام، تفسيرات وجدانية ارتفعت على لغو الكلام وعقم الجدل وأترعت بسلام وطمأنينة، هى حكمة قلب حقق عمليا معنى التوحيد ومعانى الرحمة والبناء وعز الكلام وأبهة الخلق المنطلق المطلق، وصمت الخاشع المستمع وهناءة المستمرىء السعيد.

عندما أرسل أبو بكر، الجيش تحت قيادة أسامة قال لجيشه: (لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولاشيخا كبير ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقتطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له).

لقد شهر الإسلام السيف فى وجه الدولتين الكبيرتين فى إبان ظهوره.. وكانتا تتهددان وجوده الجديد.. وهما الروم والفرس ولكنه حين يشرع الحرب دفعا للظلم، يحوطها بالتشريع ويضع لها من التقاليد والحرمات ما يليق بدين الشرائع المثلى. فهو يحرم التمثيل بالميت أو قتل النساء والأطفال أو بقر البطون مما ترتكبه الحروب الحديثة، على الرغم من التشدق بحقوق الإنسان ومبادىء السلام.

كتب عمر رضى الله عنه إلى قائده سعد رسالةً ما أحوجنا إليها اليوم فى امتحان البقاء أو الفناء الذى تجتازه الأمة العربية اليوم، لتكون لنا دستورا على أرض المعركة.

(إنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة فى الحرب.. وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخطر عليهم من عدوهم.. وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله.. ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا فى المعصية، كان لهم الفضل علينا فى القوة.. وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون..) ثم مضت الرسالة ترسم للنصر، طريقه.

وحين قسم أبو بكر المال، سوى بين الناس فلكل حاجة يُسأل عنها ولى الأمر وعليه أن يشبعها، وهكذا سوى أبو بكر فى قسمة المال بين الحر والعبد، والسابقين إلى الإسلام واللاحقين، والذكر والأنثى فقال له أحد أصحابه: (يا خليفة رسول الله، إنك قسمت هذا المال فسويت بين الناس.. ومن الناس أناس لهم فضل وسابقة وقدم فلو فضلت أهل السابقة والقدم والفضل) ؟

فقال: أما السابقة والفضل والقدم فأنا أعرفها وإنما ذلك شىء ثوابه على الله. وهذا معاش فالأسوة فيه خير من الأثرة.

وهكذا أكد أول الخلفاء الراشدين إنسانية الإسلام وعدالة الإسلام فى الحرب والسلم.

أقول ومع هذا عدل عمر عن هذا الرأى أو قل ارتأى جديدا عندما ولى الأمر وكان الإسلام قد استحصد وثبتت قدمه على الطريق.. فآثر عمر فى مرونة، السابقين وأصحاب الفضل بفضل عطاء.

مرة أخرى أقول احترم الإسلام، العقل.. حتى النواهى الصريحة تسمح فيها الإسلام عند الضرورة.. من ذلك: قاعدة الضرورات تبيح المحظورات فالله وضع الحدود ثم قال:

(فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم).

ولم يطبق عمر رضى الله عنه حد السرقة فى عام المجاعة.

وفى فصل (الأرض ... ولمن؟)

يقول الأستاذ عبدالرحمن الشرقاوى: كان لتوزيع الغنائم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قاعدة فصلتها الآية القرآنية: (واعلموا أن ما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل).

(الأنفال ٤١)

وعلى هذا سار أبو بكر الصديق...

أقول ولكن عندما فتحت فارس ومصر رأى عمر إبقاء الأرض لأهلها العارفين بزراعتها مكتفيا بالخراج والجزية..

فعل هذا فى تفهم وتفتح حفظ على الإسلام قدرته على المواءمة والملاءمة والتجدد والتلاقى فى كل عصر يوجد فيه أشباه لفكر عمر.

ومن أمجاد الإسلام تركيزه على المساواة.

قبل مجىء الإسلام بقرون كان قانون حمورابى فى بابل، يقضى حسب المنزلة الاجتماعية للمتقاضين...

وبعد الإسلام بقرون استهدفت الثورة الفرنسية (المساواة) كواحدة، من ثلاث استحقت أن تراق فى سبيلها ما أريق من دماء.

ولكن الإسلام بقوة الكلمة المنزلة رسم المساواة وأرسى قواعدها ونفذها.

أورد المؤلف قصة اليهودى الذى احتكم وعلى بن أبى طالب إلى عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين، فقال عمر لعلى: (قم يا أبا الحسن واجلس أمام خصمك.. ساو خصمك يا أبا الحسن).

فقام على فجلس أمام خصمه مساويا له، وقد غشيت وجه على كرم الله وجهه سهمة فلما انتهى النزاع وقضى عمر وانصرف اليهودى قال عمر لعلى : (أكرهت يا على أن تجلس أمام خصمك؟) ولكن على بن أبى طالب أجاب (كلا ولكنى كرهت أنك لم تسوّ بيننا حين قلت لى يا أبا الحسن) وأبو الحسن هو كنية على والنداء بالكنية تعظيم عند العرب. بهذه الروح عند الحاكم والمحكوم، أكد الفكر الإسلامى الحر، قاعدة المساواة أمام القضاء. إن الناس سواء فى الحقوق والواجبات، لتكون هذه المبادىء من بعد هدف الثورات الكبرى فى التاريخ الإنسانى.

ومن أقوى وأهم فصول الكتاب فصل (أسلوب الحكم) يقول الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى:

عزل على بن أبى طالب، الولاة الذين استباحوا أحوال الأمة. وقد بدأ عهده بأن ولى رجالا يعرف فيهم تقوى الله والتحرج من الإثم.

وأعلن أنه سيحصى عليهم أموالهم يوم يوليهم، ثم يحصيها عليهم بعد ذلك فمن وجد عنده زيادة، صادر الزيادة، وعاقب الوالى الذى أباح لنفسه الإثراء على حساب المسلمين أو التمتع بما ليس له.

ولى ابن عباس على البصرة وهو أحد أئمة التفسير وأحد كبار الفقهاء الذين يلجأ إليهم الناس فى أمور دينهم.. ولكنه حين أصاب من المال بدا له انتماؤه إلى أهل البيت، ولكن الخليفة الورع لم يتردد فى أن يعلن: «أن كل ما يمتلكه ابن عباس أو غيره ممن تولوا أمور المسلمين لا يحل له منه إلا ماكان يمتلكه قبل أن يولى الأمر، وأما ما زاد على ذلك فحق للمسلمين.

كما أن من حق المسلمين ألا يولى عليهم إلا الأصلح أخذا بسنة الرسول عليه السلام من أنه من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى غيره لقرابة أو مودة وهو يعلم أن هناك من هو أصلح منه فقد أثم.

هذا هو الإسلام فى أفقه الأعلى.

إن القرابة والودادة والإمامة فى الفقه والتفسير لم تغن عن ابن عباس شيئا عند التقى النقى على بن أبى طالب.

درس على حكام المسلمين أن يعوه.

ومع أن الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى استهل كتابه بالحرية والرأى فقد عاد وعقد للحرية فصلا مستقلا سجل فيه أن بعض المفكرين والفقهاء المسلمين الأوائل، رأى تأكيداً لحرية الإنسان وإعمالا لعقله الذى تخاطبه التكالف الدينية: أن **الإيمان الموروث ليس إيماناً صحيحا وأن من واجب المؤمن أن يتدبر بعقله ليهتدى إلى الإيمان.**

وإذاً فحرية الإرادة والاختيار والعمل والموقف شرط للتكليف.

ويذكرنا هذا بقول «إقبال» فيلسوف باكستان (إنك لاتؤمن بالقرآن حق الإيمان إلا إذا استنزلته عليك من جديد).

أي إيمان الفهم والاقتناع وليس شهادة الميلاد.

حين يقول الله جل شأنه (وشاورهم فى الأمر) فذلك تأكيد آخر على الحرية وإلا هل يستشار العبد؟ وهل يصدق المقيد فى الرأى؟

إذاً الحرية أساس للشورى

حتى الدين لا إكراه فى الدين

يقول الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى:

إذا كانت الحرية فى الإسلام من مقومات الإنسان، والتمتع بها حق له وممارستها واجب عليه، فالدفاع عن الحرية فى مواجهة الظلم واجب شرعى وليست حقا مشروعا فحسب.

والدفاع عن حرية الشعوب واجب دينى ومن هنا انتفض علماء وفقهاء في مواجهة حكام طغاة عبر العصور دفاعا عن حرية الأمة وينتظم فى سلك العلماء الأحرار الأبرار: أبو ذر الغفارى والإمام أبو حنيفة والإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل وسلطان العلماء العز بن عبد السلام والإمام البويطى والسيد عمر مكرم وكوكبة من علماء الأزهر الشريف، ليس آخرهم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده.

وكم للأزهر من مواقف مضيئة فى الثورات الوطنية ثاروا على المماليك والحملة الفرنسية والانجليزية والخديوى توفيق.

تكلم الكتاب عن قيم العدل والتعفف عن مال الشعوب تكلم عن القدوة.

تكلم عن التسامح الدينى.

عن احترام المرأة احتراما أنجب «شهدة بنت أبى نصر» التى لقبوها نقيبة رجال الشرع لأستاذيتها.

لقد بلغ مقام العلم فى الإسلام أن قال الله تعالى فى كتابه الكريم (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا).

(**نفر**) للعلم وهو لفظ خاص بالجهاد...

وإذا كان العلم فريضة وفضيلة وجهاداً فى الإسلام فإن الجهل مسبة ومذمة ونقيصة.. ومن هذا الجهل العام وهذا تسأل عنه الحكومات الإسلامية فإنه واجبها ومسئوليتها إزاء الأمة التى حملتها الأمانة.

إن العلم حق للأمة يتقدم سائر الحقوق لأنه مناط سعادتها ووسيلتها النافعة إلى غيره من الحقوق وإلى الواجبات .

إن العلم واجب شرعى على الحكومات الإسلامية كما هو ضرورة تطور.

ويتساءل الأستاذ عبدالرحمن الشرقاوى فى الفصل الأخير من الكتاب : (من الذى يفسر لنا مبادئ الإسلام) .

ويجيب : (ما من دولة عربية – أرادت أم لم ترد – لاتحكم فيها المعاملات المدنية والتجارية قواعد الشريعة الإسلامية إما نقلا عن الشريعة مباشر، وإما بطريق غير مباشر، نقلا عن القوانين الأوربية، التى نقلت هى نفسها عن الشريعة الإسلامية. وهذا الوضع الأخير يبدو شاذا بحق.

إن ذلك لشيء عجيب، ولكنه هو الواقع فى الدول العربية التى نقلت عن القوانين الفرنسية أو الألمانية دون أن تدرى أن لديها الأصول كلها) .

الكتاب قراءات فى الفكر الإسلامى ذكية حصيفة عميقة.. هكذا يقرأ الإسلام ليتحقق للإنسان الاتزان النفسى والتكامل النفسى.

سئل يونج عن سر أزمة أوربا فى كتابه : The Undiscovered Self فقال: (هى ضياع الفرد) .

ولم يكن «يونج» وحده.. فقد رأى هذا أيضا «برنارد شو» فى كتابه (دليل المرأة الذكية) و «ديوى» فى كتابه عن الفردية القديمة والحديثة Individualism Old and New الذى أشار فيه إلى التشقق فى النفس الأمريكية، و Alexes Karelle الفرنسى فى كتابه: «الإنسان ذلك المجهول» .

ويتساءل فلهلم Velhlim : لماذا نترجم عن الشرق ونتعرف على الشرق؟ إنها حاجة الأوروبى إلى الجانب الروحى فى نفس الإنسان..

ولكن هل نقدر، هذه الأيام، ديننا حق قدره؟ ليتنا نفعل...

كتاب

رسالة التوحيد

تأليف

الإمام الشيخ محمد عبده

رسالة التوحيد

ألف هذه الرسالة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

طبع هذه الرسالة مصححا إياها على نسخة المؤلف ومعلقا على تعليقات استفاد بعضها منه فى الدرس، السيد محمد رشيد رضا منشىء «المنار»

طرقت الرسالة، وافرا من الموضوعات من أهمها:

- تعريف علم التوحيد وموضوعه وتسميته.
- سنن الله فى الخلق وتآخى الدين والعقل فى الإسلام.
- مبدأ ظهور البدع فى العقائد والخلافة ودور عبد الله بن سبأ فى هذا.
- تقرير الإسلام لاستقلال الإرادة واستقلال الفكر.
- تحرير البشر من العبودية لغير الله.
- سبب الفتح الإسلامى وسيرة المسلمين فيه.
- العدل والرحمة وحرية الأديان فى الإسلام.

أبرز ما فى هذه الرسالة سعة الأفق فى فهم الدين السمح... حتى المقدمة التى كتبها الشيخ محمد رشيد رضا تستهل بوصفه الإسلام أنه دين الفطرة للناس من جميع الشعوب والأجناس الموافق لهم فى كل مكان، المنطبق على مصالحهم فى كل زمان فهو للقبائل الساذجة كالمربى الرحيم، والشعب الراقية كالإمام الحكيم، كلما ساروا فى العلوم والمدنية شوطا رأوه المجلى فى ميدان السبق (٤١-٥٣ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق).

أقام هذا الدين سلف المسلمين، المتبعون، وخذله خلفهم المبتدعون، حتى صاروا حجة عليه عند أكثر العالمين، إذا زينت لهم التقاليد والعادات، أن يجعلوه حجابا دون العلوم والفنون والصناعات، وأن يتفرقوا فيه مذاهب وشيعا، وينقصوا منه سننا، ويزيدوا عليه بدعا، وأن يجعلوا كتب العقائد ملأى بالجدل والمراء، بين أهل المذاهب من الأموات والأحياء، وقد مرت القرون وليس عندنا مصنف يصلح للدعوة إلى الإسلام، على الوجه الذى اشترطه علماء الكلام، وهو أن يكون على وجه يحرك إلى النظر، ويدعو إلى البحث والتفكر، حتى قام الأستاذ الإمام، الذى كان فى هذا العصر حجة الإسلام الشيخ محمد عبده.

وعن الفتنة التى تسللت بين صفوف المسلمين بعد مقتل ثانى الراشدين الخليفة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه.

ووراء هذه الفتنه عبد الله بن سبأ يعرفه الإمام الشيخ محمد عبده بأنه يهودى أسلم وغلا فى حب علىّ كرم الله وجهه حتى زعم أن الله حل فيه!!

ويعلق الشيخ محمد رشيد رضا (أن ابن سبأ فعل ما فعل بغضاً فى الإسلام لا حبا فى على، فإسلامه كان خديعة وله نظراء فى ذلك من اليهود و ... كلهم كانوا يقصدون إفساد الإسلام وإزالة ملكه بالتفريق بين أهله.

وقد مضت خطة عبد الله بن سبأ على هذا النحو:

طعن على عثمان منفاه، فذهب إلى البصرة وبث فيها فتنته، فأخرج منها فذهب إلى الكوفة ونفث ما نفث من سم الفتنة فنفى منها فذهب إلى الشام فلم يجد فيها ما يريد ثم ذهب إلى مصر.

ومن الطريف أن ابن سبأ حين ظهر بمذهبه فى عهد على، نفاه إلى المدائن! وكان رأيه جرثومة لما حدث من مذاهب الغلاة.

وقد ناقش الإمام محمد عبده فى رسالة التوحيد موضوعات الاختلاف التى احتدم حولها الجدل مثل:

- الجبر والاختيار.
- من ارتكب الكبيرة ولم يتب.

ثم وقف عند فتنة أخرى هى فتنة القول بخلق القرآن أو أزليته... وأهين فى ذلك رجال من أهل العلم والتقوى، وسفكت فيه دماء بغير حق وهكذا تعدى القوم حدود الدين باسم الدين...

أقول ولا ننسى مصريين ما كابده الإمام البويطى الذى جاء به أعوان المأمون من مصر إلى بغداد وألقى به فى سجن (المطبق) وتناوب على رجلنا العالم الإمام البويطى، فى سجنه، الوعد والوعيد فلم يذعن وقال كلمته الشامخة (والله لن أذعن للخليفة المأمون ولأموتن فى حديدى لتأتى بعدى أجيال تعلم أن فى مصر رجالاً صمدوا فى موقفهم وماتوا فى حديدهم).

ولم يمت فى عداد الرجال، الإمام البويطى ومات المأمون.

يقول الإمام محمد عبده (انتشرت الفوضى العقلية بين المسلمين تحت حماية الجهلة من ساستهم. فجاء قوم ظنوا فى أنفسهم ما لم يعترف به العلم لهم فوضعوا ما لم يعد للإسلام قِبَلٌ باحتماله. غير أنهم وجدوا من نقص المعارف أنصارا، ومن البعد عن ينابيع الدين أعوانا، فشردوا بالعقول عن مواطنها، وتحكموا فى التضليل والتفكير، وغلوا فى ذلك حتى قلدوا بعض من سبق من الأمم فى دعوى العداوة بين العلم والدين وقالوا لما تصف ألسنتهم الكذب: هذا حلال وهذا حرام، وهذا كفر وهذا إسلام. والدين من وراء ما يتوهمون، والله جل شأنه فوق ما يظنون وما يصفون.. ولكن ماذا أصاب العامة فى عقائدهم ومصادر أعمالهم من أنفسهم بعد طول الخبط وكثرة الخلط؟ شر عظيم، وخطب عميم).

وفى سعة أفق ووضوح رؤية وسماحة إسلامية يقول الأستاذ الإمام (والذى علينا اعتقاده أن الدين الإسلامى دين توحيد فى العقائد، لا دين تفريق فى القواعد.. العقل من أشد أعوانه، والنقل من أقوى أركانه.. وما وراء ذلك فنزعات شياطين، وشهوات سلاطين، والقرآن شاهد على كل بعمله، قاض عليه فى صوابه وخطئه.

ويؤكد الإمام محمد عبده **ارتباط** الدين بالعلم لامجرد إيذان به.. يقولها واضحة فى مثل وضوح اليقين : (لايجوز أن يقام الدين حاجزا بين الأرواح وبين ما ميزها الله به من الاستعداد للعلم بحقائق الكائنات الممكنة بقدر الإمكان. بل يجب أن يكون الدين باعثا لها على طلب العرفان، مطالبا لها باحترام البرهان، **فارضا** عليها أن تبذل ما تستطيع

من الجهد فى معرفة ما بين يديها من العوالم ولكن مع التزام القصد، والوقوف فى سلامة الاعتقاد عن الحد، ومن قال غير ذلك فقد جهل الدين، وجنى عليه جناية لايغفر له رب العالمين) .

وأخيراً وليس آخر لايسعنى أمام «رسالة التوحيد» للأستاذ الإمام إلا أن أقول مع السيد محمد رشيد رضا أن علم العقائد قد ارتقى فى مصر بنشرها وتدريس المؤلف فى الجامع الأزهر لها.. وأن علماء الهند ترجموها بلغة – الأوردية ليدرسوها فى مدرسة عليكرة الكلية.. وأن بعض المستشرقين ترجموها باللغة الفرنسية وطبعوها.. وأن بعض العلماء المسيحيين قرظوها وبعض أحرارهم تبرعوا بنسخ منها وزعوها، وأن بعضهم قالوا عندما قرءوها (لو كان ما فى هذه الرسالة هو الإسلام، لكنا أول ما يدخل فيه) . وقد طبعت رسالة التوحيد أربع عشرة طبعة.

رحم الله الأستاذ الإمام بقدر ما أدى وأوفى.

كتاب

حياة محمد

تأليف

دكتور محمد حسين هيكل

حياة محمد

كتاب ألفه الدكتور محمد حسين هيكل وأصدره ١٣٥٨ هجرية.

وقف وقفة طويلة عند الخلفية التاريخية والجغرافية والدينية قبل الإسلام استغرقت خمس الكتاب تقريبا أو ما يربو على مائة صفحة... وكان لابد من هذه الوقفة ليعرف القارىء أى طريق سافر فيه قلب الرسول عليه السلام لكى يصل إلى ما وصل إليه من نقلة إنسانية وحضارية كانت نقطة تحول فى تاريخ البشرية بعامة وتاريخ العرب بخاصة.

لا أقول هذا مسلمة لقد سبقنى إليه عدة باحثين منهم غربيون لقد ألف «مايكل هارت» عن أعظم مائة فى العالم – كتاب (الخالدون مائة) فوضع النبى العربى عليه السلام فى مقدمتهم وجاء ترتيبه فى الكتاب قبل المسيح الذى يدين به.

استهل الأديب الدكتور محمد حسين هيكل كتابه بهذه الترنيمة:

محمد عليه الصلاة والسلام:

بهذا الاسم الكريم تنطق ملايين الشفاه وله تهتز ملايين القلوب كل يوم مرات. وهذه الشفاه والقلوب به تنطق، وله تهتز منذ أربعمائة وألف سنة إلا خمسين وبهذا الاسم الكريم ستنطق ملايين الشفاه وتهتز ملايين القلوب إلى يوم الدين فإذا كان الفجر من كل يوم وتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، أهاب المؤذن بالناس أن الصلاة خير من النوم، ودعاهم إلى السجود لله والصلاة على رسوله فاستجاب له الألوف والملايين فى مختلف أنحاء المعمورة يحيون بالصلاة رحمة الله وفضله متجليين فى مطلع كل نهار. وإذا كانت

الظهيرة وزالت الشمس أهاب المؤذن بالناس لصلاة الظهر، ثم لصلوات العصر، فالمغرب فالعشاء. وفى كل واحد من هذه الصلوات يذكر المسلمون محمدا عبدالله ونبيه ورسوله فى ضراعة وخشية وإنابة.. وهم فيما بين الصلوات الخمس ما يكادون يسمعون اسمه حتى تجف قلوبهم بذكر الله وبذكر مصطفاه كذلك كانوا وكذلك سيكونون، حتى يظهر الله الدين القيّم ويتم نعمته على الناس أجمعين.

وبعد هذا الاستهلال ناقش الدكتور هيكل تكوين الامبراطورية الإسلامية الأولى.. ناقش الإسلام والمسيحية والمبادىء الأولية فى الدينين وما بينهما من مودة (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا، اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون).

وهنا ناقش فى موضوعية هادئة نقاط الخلاف التى استغلت أكثر مما انتفع بنقاط الالتقاء.

وناقش الدكتور هيكل المسيحية واليهود وأفرد الفصل الثانى لمكة والكعبة وقريش والفصل الثالث عن (محمد: من ميلاده إلى زواجه).

وهو فصل حافل بالإنسانيات... بالألم والشجن... بالحنان... بالحرمان.

أما الفصل الرابع فتمتد مساحته من الزواج إلى البعث.. ووقفت طويلا عند جبل حراء حيث يشهد الجبل سياحة فى النفس الزكية التى طهرها الله تطهيرا فارتفعت على الرجس تنشد الحقيقة فى الكون مستشرقة إلى «ما وراء..».

وكلما زرت مكة وطفت بالبيت ذهبت إلى جبل حراء وتخيلت رسولنا وهو يقطع الطريق الذى تطويه اليوم السيارات الفارهة كيف كان يتكبد وعثاء السفر إليه، أياما... هذا الجبل يسمى اليوم جبل النور وهو جدير... لقد كان إرهاصة لمطلع الفجر..

الفصل الخامس (من البعث إلى إسلام عمر...)

حقا كان إسلام عمر نقطة تحول فرق الله به بين الحق والباطل... إنه الفاروق عمر ... العادل عمر عطر التاريخ وآية الإسلام الشاهدة على صنع الرجال.

الفصل السادس (قصة الغرانيق) وقد واجه الدكتور هيكل هذه القصة الموضوعة وناقش كافة الآراء.

وهى كما يقول (حجج واهية لاتقوم أمام التمحيص لتفاهتها علميا وتعدد الروايات فيها).

الفصل السابع (مساءات قريش) ويمتد موضوع هذا الفصل إلى الفصل الثامن وإن كان هذا الفصل فى نهايته ترطب بالإسراء والمعراج.

والفصل التاسع استقل ببيعتين هما (بيعتا العقبة).

ويقف الفصل العاشر عند (هجرة الرسول) هاجر ليحيا ثم عاد ليكون العود أحلى هجرة شهدت بناء أول مسجد فى الإسلام هجرة شهدت كفالة حرية العقيدة بكتاب كتبه محمد عليه السلام بين المهاجرين والأنصار يعتبره الدكتور هيكل - ويحق - عملا سياسيا جليلا يدل على أعظم الاقتدار وقد استأثر هذا الكتاب بالفصل الحادى عشر فقد وضع الرسول عليه السلام للمدينة نظامها السياسى بالاتفاق مع اليهود على أساس متين من الحرية والتحالف باعتبارهم أحسنوا استقباله - وإن كانوا يستهدفون استدراجه إلى صفوفهم - وباعتبارهم أنهم أهل كتاب موحدون. على أنه لم ينج من غدرهم والمسلمون معه مما يفصله تاريخهم معهم حتى بعد أن اذعنوا لسلطان المسلمين إلى الحد الذى أهدوا إليه وإلى أصحابه شاة مسمومة.

(هذا الطور من حياة الرسول لم يسبقه إليه نبى أو رسول. فقد كان عيسى وكان موسى كان من سبقهما من الأنبياء يقفون عند الدعوة الدينية يبلغونها للناس من طريق الجدل ومن طريق المعجزة. ثم يتركون لمن بعدهم من الساسة وذوى السلطان أن ينشروا هذه الدعوة بالمقدرة السياسية وبالدفاع عن حرية إيمان الناس بها، ولو دفاعا مسلحا فيه الحرب والقتال. انتشرت المسيحية على يد الحواريين من بعد عيسى، فظلوا ومن تبعهم يعذبون، حتى جاء من الملوك من لان قلبه لهذا الدين فآواه ونشره وكذلك كان أمر سائر فى الأديان فى شرق العالم وغربه. فأما محمد فقد أراد الله أن يتم نشر الإسلام وانتصار كلمة الحلق على يديه، وأن يكون الرسول السياسى والمجاهد والفاتح، كل ذلك فى سبيل الله، وفى سبيل كلمة الحق التى بعث بها. وهو قد كان فى ذلك كله عظيما، وكان مثل الكمال الإنسانى على ما يجب أن يكون) ص ٢٢.

وأورد المؤلف، الوثيقة... الوثيقة السياسية التى وضعها محمد عليه السلام منذ ألف وثلاثمائة وخمسين سنة، والتى تقرر حرية العقيدة وحرية الرأى وحرمة المدنية وحرمة

الحياة وحرمة المال وتحريم الجريمة وهى فتح جديد فى الحياة السياسية والحياة المدنية فى عالم يومئذ.

لقد كانت هذه الوثيقة هى حجر الأساس للحضارة الإسلامية.

وحجر الأساس هذا هو الإخاء الإنسانى...

وعرضت الفصل من الثانى عشر إلى السادس عشر للغزوات وائتمار اليهود بالرسول ونكثهم العهد وإجلائهم عن المدنية.

وفى الفصل السابع عشر الذى تناول فيه المؤلف أزواج النبى فقرة ليت المؤرخين يستوعبونها.. فصل من حقه أن يقرأ كلمة كلمة فى إمعان... اكتفى أو اجتزىء بهذه الفقرة.

لقد تزوج خديجة وهو فى الثالثة والعشرين من عمره، وهو فى شرخ الصبا وريعان الفتوة ووسامة الطلعة وجمال القسمات وكمال الرجولية. مع ذلك ظلت خديجة وحدها زوجة ثمانيا وعشرين سنة حتى تخطى الخمسين. هذا على حين كان تعدد الزوجات أمرا شائعا بين العرب فى ذلك العهد، وعلى حين كان لمحمد مندوحة فى التزوج على خديجة، أن لم يعش له منها ذكر، فى وقت كانت توأد فيه البنات، وكان الذكور وحدهم، هم الذين يعتبرون خلفا. وقد ظل محمد مع خديجة سبع عشرة سنة قبل بعثه وإحدى عشرة سنة بعده وهو لايفكر قط فى أن يشرك معها غيرها فى فراشه. ولم يعرف عنه فى حياة خديجة، ولم يعرف عنه قبل زواجه منها أنه كان ممن تغريهم مفاتن النساء فى وقت لم يكن فيه على النساء حجاب بل كانت النساء يتبرجن فيه ويبدين من زينتهن ما حرم الإسلام من بعد فمن غير الطبيعى أن تراه وقد تخطى الخمسين ينقلب فجأه هذا الانقلاب.

وهنا أقول إن موسى جمع بين الأختين وسليمان له زيجات كثيرة فلماذا الإلحاح على الإسلام وحده فى تعدد الزوجات مع تقييده التعدد بشرط يستعصى على الطبيعة البشرية تنفيذه وكأنه ينفيه وما أتاحه ولاأقول أباحه إلا لضرورة الحروب أو العقم أو المرض العضال أو طبيعة بعض الرجال؟ فهو يبدأ بالواقعية وينتهى إلى المثالية فى بيئة رسخت فيها مواضعات معينة...

كما فعل فى (الخمر) وفى (رد الاعتداء) ابتداء: لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى.

وانتهاء (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) .

وفى الاعتداء:

(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)

ثم (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) .

وإنا لنتساءل مع الدكتور هيكل:

وهل الاقتصار على زوجة واحدة نافذ فعلا بين أقوام هؤلاء النقادين من مستشرقين وغيرهم حتى ولو كان نافذا صوريا بحكم القانون؟ ألم تبح أوربا الحديثة بل الفاتيكان، التعدد؟

واستأنف الدكتور هيكل الحديث عن الغزوات فى الفصول (الثامن عشر إلى الفصل الخامس والعشرين) .

ووقف الفصل السادس والعشرون عند إبراهيم ونساء النبى والفصل السابع والعشرون عند تبوك وموت إبراهيم الذى وافق توقيته كسوف الشمس فرأى المسلمون فى ذلك معجزة وقالوا: إنها انكسفت لموته وكان من الممكن أن يتعزى بهذه الكلمة أو يسكت عنها ولكنه أبى قائلا: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لاتخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله بالصلاة) .

يقول الدكتور هيكل:

(لقد وقف من تناول من المستشرقين هذا الحديث لمحمد موقف الإجلال والإعظام ولم يستطيعوا كتم إعجابهم وإكبارهم وإعلان عرفانهم بصدق رجل لايرضى فى أدق المواقف إلا الصدق والحق) .

ويقترب الكتاب بعد هذا من نهايته ونهاية السيرة الكريمة فيتحدث من الفصل الثامن والعشرين إلى الفصل الحادى والثلاثين عن عام الوفود وحج أبى بكر بالناس ويودع الفصل التاسع والعشرون الرسول فى حجة الوداع ليسرى عليه بعدها ما يسرى على البشر فهو فى النهاية رجل من رجالنا وهذا سر عظمته. لقد غير مجرى التاريخ وصنع من العظائم والكرائم والشمائل ما يعيى العصبة من الرجال أولى العزم.

لقد صنع من الصحراء أمة ودولة وخلافة وحضارة .

فى الفصل الحادى والثلاثين وفى خاتمة الكتاب أنشأ الدكتور هيكل مبحثين عن الحضارة الإسلامية فى مقارنة بينها وبين الحضارة الغربية.

يكفى الإسلام أنه لم يعرف (السلطة الدينية فليس لأحد من المسلمين ولو كان خليفة أن يفرض أمرا على الناس باسم الدين وأن يزعم أنه قدير مع ذلك على الغفران لمن خالف هذا الأمر وليس لأحد من المسلمين ولو كان خليفة أن يفرض على الناس غير مافرضه الله فى كتابه بل المسلمون أمام الله سواسية لافضل لأحد منهم على أحد إلا بالتقوى. وليس لولى الأمر على مسلم طاعة فى معصية ولا فيما لم يأمر به الله.

حتى الخير والشر لا يذلل الإنسان كما يقول الشيخ محمد عبده، للخير كما يذلل الحيوان بل القصد منه أن يرتقى عقله وترتقى نفسه بالعلم فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضى لله ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته وذلك فى تفسيره للآية الكريمة (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون). سورة البقرة آية ١٧١.

لقد عابوا الإسلام بالسيف وما غزا المسلمون الأولون إلا دفاعا عن عقيدتهم (حين هددتها قريش وحين هددها العرب ثم حين هددها الروم وهددها الفرس وهم فى هذا الغزو لم يفرضوا على أحد دينهم فلا إكراه فى الدين وهم فى هذا الغزو لم يقصدوا إلى الاستعمار فقد ترك النبى ملوك العرب وأمراءها على إماراتهم وممالكهم.

أما أوربا فلا تغزو لتنشر عقيدة ولا لتدعو إلى حضارة. هى إنما تريد استعمارا وتريد أن تجعل من العقيدة المسيحية مطية هذا الاستعمار).

ومصداق قول الدكتور هيكل الحروب الصليبية... التى تسلقت المسيحية لتخفى الأسباب الحقيقية ومنها رغبة بعض الملوك والحكام من التخلص من منافسيهم فخلقوا لهم ميدانا يشغلهم ويغريهم فى الوقت نفسه ويحقق طموحهم بما يعوضهم عن الحكم فى أرضهم ثم طمع الغرب فى خيرات الشرق... ولاتزال الأطماع المادية هى التى تحرك الغرب فيخفيها تحت عباءة الدين تمسحا بالمسيحية وعداوة للإسلام.

إن الماريشال اللنبى الذى استولى على بيت المقدس سنة ١٩١٨ باسم الحلفاء، حين قال عند هيكل سليمان:

(اليوم انتهت الحروب الصليبية).

وقال الدكتور بيترس سميث فى كتابه عن سيرة المسيح (إن هذا الاستيلاء على بيت المقدس كان حربا صليبية ثامنة أدركت المسيحية فيها غايتها).

ليس الماريشال اللنبى أو الدكتور بيترس سميث صادقين.. فحروبهم ليست من أجل المسيحية ولكن من أجل أطماعهم دولا وأفرادا ومن أجل كسر شوكة الإسلام التى يغصون بها هل كانت هتفتهم (عدنا ياصلاح الدين) صادقة. إن صلاح الدين لم يبدأ بالعدوان ليردوا عليه بل هم البادئون...

على أن الإسلام بعد هذا كله سيظل قويا بذاته حتى فى حالات ضعفنا السياسى.

وبعد:

فهذا الكتاب بتفاصيله الدقيقة الموثقة المحققة موسوعة علمية أدبية عن حياة الرسول يحسب لمؤلفه شجاعته فى مواجهة خصوم الإسلام والرسول ومناقشة ما يفجرونه أو مايفتعلونه من قضايا مثل (الغرانيق) والزيجات وغير هذا واجه أقوال المستشرقين ورد عليهم وكشف عن خباياهم النفسية التى دفعتهم إلى «المساءات» كما يسميها المؤلف.

ومن الطريف أن الدكتور هيكل سجل على نفسه أيضا أقوال النقاد فى كتابه ورد عليها بالطبع وأحسبه فعل هذا تأسياً بأدب الإسلام وتأدبا بأدب القرآن...

إن كتاب (حياة محمد)

تبلغ فيه هذه الحياة من واقع تاريخها نصاعة تجعل (الإنسان) فى كل مكان يعتز بها فى إشراقاتها وفى آلامها حين تحيفها العذاب من الأهل والغرباء فيرتفع على الأسى والإساءة ويدعو لهم عفوا كريما (اللهم اهد قومى فإنهم لايعلمون)

بوركت يارسول الله

وبوركت سيرتك

وبوركت ذكراك.

كتاب

دفاع عن الإسلام

تأليف

لورا فيشيا فاغليرى

دفاع عن الإسلام

هذا الكتاب ألفته فى رحابة أفق، وخلوص وإخلاص، كاتبة مسيحية هى «لورا فيشيا فاغليرى Laura Veccia Vaglieriu أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية فى جامعة نابولى بإيطاليا.

وترجمه إلى الإنجليزية، الدكتور آلدو كازيللى Aldo Caselli وقد قضى فى الشرق الأوسط عدة سنوات مترحلا دارسا أحوال الأمة العربية وقد نشرت الصحف الإيطالية كثيرا من مقالاته عن الثقافة والمؤسسات الإسلامية ثم سافر إلى الولايات المتحدة سنة ١٩٣٨ وهو اليوم أستاذ فى كلية هافر فورد، بنسلفانيا.

نقل الكتاب إلى العربية الأستاذ منير البعلبكى.

هناك سؤال يلح على خاطرى بينى وبين نفسى كلما جنحت إلى الصمت، وهو سلام نفسى.. وهو أحيانا أعلى صوتا من الكلام..

السؤال: إن البوذيه، هادئه ناعمه دمثة لماذا لم تنتشر مثلا كما انتشر الإسلام؟
إذاً المسألة ليست الدماثة وحدها.
هناك شيء آخر.. شيء خطير.. إنها المساواة.
هذه الصفة وهذا المبدأ الإنسانى الذى كانت تفتقده الشعوب.

إن اليونان فى أوج دولتهم كانوا يعتبرون العمال اليدويين مواطنين من الدرجة الثانية.

أما الرومان وهذا هو الأغرب فكانوا يسخرون، جهلاء، من أهل الفكر والفنون ويقول أحد قوادهم (يا ابن روما أنت للسيف أما هؤلاء – أى أهل الفكر – فدعهم) !!!

هذا حين أعلى الإسلام العلم والعلماء وأقسم الله فى القرآن الكريم بالقلم وما سطر.

من احترام الإسلام، الإنسان، سوّى بين الناس وجعل أكرمهم عند الله أتقاهم...

يرى عمر بن الخطاب وهو من هو، «بلالا» الذى كان قبل الإسلام عبدا حبشيا ثم أعزه الإسلام وأكرم إنسانيته بالحرية.. يرى عمر، بلالا، قادما فيقول، رضى الله عنه: (أقبل سيدنا).

أقول مرة أخرى لماذا انتشر الإسلام؟ ويجيب ضميرى قبل وجدانى: لأنه رسالة سماوية وليس مجرد مذهب إنسانى... ومادام رسالة سماوية فهى تحمل حماسا متقدا لا يخبو لأنها فى كل وقت قربى إلى الله ووثاق.

أقول لأنه رسالة سماوية، ظلت الحاجة إليها، دائمة.. متشوفة .. متشوقة وخاصة فى عصور العنت والظلم وإرهاق وإملاق فضائل الإنسان.. فيكون الدين السماوى ملاذا ولواذا ومرفأ ترسو عليه آلام الإنسان فيرتاح من حيرة، ويهدأ من لغوب.

أقول بل الأمر فيه سر خاص فهناك أديان سماوية ولكنها ليست فى قوة الإسلام حتى وإن كان أهلها أقوياء سياسيا، والمسلمون ضعاف سياسيا.. **لا** أقول هذا من موقع أنى مسلمه ولكن كما تقول كاتبة مسيحية غربية!

(لايزال العقل البشرى يقف ذاهلا دون اكتشاف القوى السرية التى مكنت جماعة من المحاربين البداة من الانتصار على شعوب متفوقة عليها تفوقا كبيراً فى الحضارة، والثروة، والخبرة، والقدرة على شن الحرب.. ومن أدعى الأمور إلى الدهشة أن نلاحظ كيف استطاع أولئك الناس أن يحتلوا تلك المناطق كلها، وأن يثبتوا بعد ذلك فتوحاتهم على نحو جعل حتى الحروب المتعاقبة قرنا بعد قرن عاجزة عن إخراجهم منها، وكيف استطاعوا أن يلهبوا نفوس أتباعهم بتلك الحماسة الفائقة لمثلهم العليا، **وأن يحتفظوا بحيوية نابضة لم تعرفها الأديان الأخرى** حتى بعد انقضاء عشرة قرون على وفاة محمد، وأن يفرغوا فى عقول أتباعهم، على الرغم من انتسابهم إلى عصر وثقافة مختلفين كل الاختلاف عن عصر المسلمين الأولين وثقافتهم، إيمانا متقدا لا يحجم عن القيام بأيما تضحية مهما غلت.

أقول كان «اخناتون» مخلصا فى دعوته إلى التوحيد وإلى **فضائل** الدماثة والتواضع حتى ألغى وهو الملك الامبراطور ألقابه الملكية وسمى نفسه «**العائش على الصدق**..».

كان ملكا امبراطورا غنيا له ملك مصر والأنهار تجرى من تحته كما قالها «مرنبتاح» من اعتزازه بالعرش العريق.. ولكن اخناتون على الرغم من تأثيره الباقى فى نواح عدة، لم يبلغ ما بلغه الرسول عليه السلام، من تمكين.

لقد أعاد الإسلام، السلام إلى نفوس أجدبتها الحروب، وبراها اللغوب، وأشقاها الشغوب، وأضناها الضياع فكان السلام بينها، إعجازاً وإنجازا وسكينة...

أليس إعجازا ومعجزة أن تصبح الامبراطورية الفارسية، أرضا عربية بعد ستة عشر عاما من الهجرة؟

ثم توالى الظفر والهيمنة حتى بدا النجاح كما تقول المؤلفة (قد جعل لأقدام الفاتحين، أجنحة).

وتقول (وقد أتبعت هذه الانتصارات الرائعة **بتنظيم البلدان المفتوحة**، وتوطيد أقدام العرب فيها. **ولم يكن هذا الصنيع أقل إعجازا من الفتوح نفسها**. فيض جديد من حياة عارمة يتدفق فى عروق تلك الشعوب الخائرة القوى.. لقد تجلى أمام عيون العالم المندهش دين جديد، بسيط.. سهل يخاطب القلب والعقل جميعا.. وأقيم شكل جديد من أشكال الحكومة كان أسمى إلى حد بعيد – فى خصائصه ومبادئه الأخلاقية – عن تلك المعروفة فى ذلك العصر).

وتقول عرفت البلاد المفتوحة عهدا من الرخاء والازدهار، وشهدت غنى **لم تشهده آسيا منذ قرون طويلة**.

وتقول أزعج هذا التحول السياسى والدينى العميق طائفة من الناس فراحوا يتساءلون ما الذى أدى إلى حدوثه؟ ولكن كثيرا منهم كانوا عميا.. لم يريدوا أن يعتقدوا أن حكمة الله وحدها كانت مسئولة عن رسالة محمدا!

أقول لقد كانت دعوة الرسول عليه السلام، فوقها إله يؤيدها بنصر من عنده وقبول.

لقد فندت الكاتبة المسيحية عندما خلصت منها النية وحكمت الضمير وحده، المقولة التى تزعم أن الإسلام انتشر بالسيف. ففى رأيها، وهو صواب، أن القتال فرض عليه بعد

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة فرض القتال عليه لإنقاذ نفسه وجماعته الصغيرة من الهلاك.. (كان الصراع يدور بين الفوضوية، ومادية الوثنيين المتبربرين، ومخاصمات وأكاذيب اليهود غير المتسامحين على الرغم من تحضيرهم من ناحية، وبين مثل أعلى رفيع فى التجدد الدينى والاجتماعى من ناحية أخرى.

كان لدن وصوله إلى المدينة قد مد يد الصداقة، أول ما مدها، إلى اليهود الذين مثلوا فى هذه المدينة جماعة غنية مزدهرة.. لقد دعاهم إلى التعاون الصادق فى وحدة سياسية واجتماعية.. ولكنه حين أدرك أنهم معادون له عداء مطلقا وأنهم مصرون على اتباع سبيل خاطئة غادرة تعين عليه أن يقاتلهم.

كانت الحرب دفاعا ضروريا، لا عدوانا جائرا..

(وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم **ولاتعتدوا**، إن الله لا يجب المعتدين) . السورة ٢-البقرة آية/ ١٩٠.

أقول وهل كان عنده من السلاح والعتاد الحربى ما عند الفرس والروم ولا أقول ما يفوق الفرس والروم؟

لقد نهض بهذا الحمل والحمله، وأنصاره قلة قليلة (وكان لدن وصوله إلى المدينة قد مد يد الصداقة، وأول ما مدها، إلى اليهود الذين مثلوا فى هذه المدينة جماعة غنية مزدهرة. لقد دعاهم إلى التعاون الصادق فى وحدة سياسية واجتماعية ولكنه حين أدرك أنهم معادون له عداء مطلقا وأنهم مصرون على اتباع سبيل خاطئة غادرة.. هنا تعين عليه أن يقاتلهم ويعاقبهم...

هل يعزى انتشار الإسلام إلى السيف، والقرآن الكريم يقول (لا إكراه فى الدين، قد تبين الرشد من الغىّ) سورة ٢ آية/٢٥٦.

ويقول: (وقل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) سورة ١٨ آيه ٢٩.

وتسوق الكاتبة الأجنبية فى معرض حججها أن الرسول عليه السلام قال يوما لأحد صحابته (لماذا تريد أن تكره الناس على الإيمان، والإيمان لايمكن أن يأتى إلا من عند الله؟).

وتقول الكاتبة (كان رجلا فى أوج قوته، رجلا يرأس دولة رفيعة التنظيم، ويقود جنودا صالحين مطيعين كان فى ميسوره أن يستخدمهم ضد أى امرىء، يقع اختياره عليه).

أقول وما أكثر الذين عادوه وكادوا له وليس آخرهم بنو قريظة وبنو قينقاع.

تقول المؤلفة : (إن تاريخ السنوات الأولى من الإسلام يقدم إلينا عددا من الأمثلة على التسامح الدينى الذى أظهره الخلفاء الأولون نحو أتباع الديانات الموحدة. فكما أعطى الرسول نفسه ضمانات إلى نصارى نجد بأن مؤسساتهم المسيحية سوف تصان، وأصدر أمره إلى قائد إحدى الحملات العسكرية إلى اليمن لايؤذى يهودى فى يهوديته، فكذلك وجه الخلفاء إلى قادتهم العسكريين تعليمات مماثلة حول مسلك جيشهم فى الحرب.

وتقول المؤلفة:

(كان المسلمون يتركون للشعوب حرية العقيدة ولا يكرهون أحدا على الدخول فى الدين الجديد والجيوش الإسلامية لا تصحب معها حشداً من المبشرين الملحاحين غير المرغوب فيهم.. وما كانت تضع المبشرين فى مراكز محاطة بضروب الامتياز لكى ينشروا عقيدتهم أو يدافعوا عنها.. ليس هذا فحسب بل طلب المسلمون إلى الراغبين فى الإسلام أن يمثلوا أمام القاضى ويعلنوا أن إسلامهم لم يكن نتيجة لأى ضغط وأنهم لا يهدفون من وراء ذلك إلى أى كسب مادى أو دنيوى.

ليس هذا فحسب بل عُهد إلى بعض اليهود والنصارى فى تولى المناصب الحكومية حين كانت مؤهلاتهم الشخصية من القوة بحيث تلفت أنظار الحاكمين).

لقد تقولوا على الرسول بأنه آمن به الأرقاء والمستضعفون أقول: هل كان عمر ابن الخطاب مستضعفا وهو الذى دعا الرسول ربه (اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب أو أبى جهل).

هل كان عثمان الغنى مستضعفا؟
هل كان أبو بكر الموفور الثرى مستضعفا؟
هل كان خالد بن الوليد مستضعفا؟
هل كان أبو سفيان مستضعفا؟

لقد آمن به أشراف قومهم وآمن به الأذكياء والأقوياء بعد أن لمسوا **صدقه**.. بعد أن لمسوا فى وقت واحد! **عدله ورحمته** وهما صفتان، كما تقول المؤلفة من أنبل الصفات التى يستطيع العقل البشرى تصورها.

أقول إن معجزته الكبرى أن خلق من الصحراء نفوسا خصبة بالعدل والرحمة.. **أن** خلق من القبائل المتفرقة المتطاحنه أمة واحدة مستمسكة بالعروة الوثقى... أمة عمرت

وأثرت الحياة وأخذت بأسباب العلم ونبغ منها كثيرون أمثال البيرونى وابن الهيثم وابن رشد وابن سينا وابن حزم والأئمة الأربعة ومعهم الليث بن سعد.

أقول: كيف انتشر الإسلام فى أوروبا وأمريكا مع ضعف المسلمين سياسيا! وقوة الأوربيين والأمريكيين دوليا وماديا وعسكريا؟

وتقارن المؤلفة المسيحية بين الإسلام وغيره قائلة وهذا نص عبارتها:

(لم يكن عند المسلمين مجامع كنسية مقدسة تحاول أن تفرض صيغة دقيقة ينبغى اعتبارها رمزا حيا للعقيدة المستقيمة أو «الارثوذكسية» .. إن الإسلام لم يمنح أحدا من أتباعه الحق فى الحكم على إيمان أخيه فى الدين.

وتقول المؤلفه المسيحية عن القرآن الكريم:

إن معجزة الإسلام العظمى هى: القرآن الكريم الذى ينقل إلينا الرواية الراسخة غير المتقطعة، من خلاله، أنباء تتصف بيقين مطلق، إنه كتاب لاسبيل إلى محاكاته... إن الأثر الذى يحدثه فى النفس البشرية إنما يتم من غير أيما عون عرضى أو إضافى، من خلال **سموه السليقى**.

إن آياته كلها على مستوى واحد من البلاغة. إنه يكرر أوصاف بدء العالم ونهايته وصفات الله وتفسيرها، مثلا، ولكنه يكررها على نحو مثير إلى درجة لا تضعف من أثرها. وهو ينتقل من موضوع إلى موضوع من غير أن يفقد قوته. إننا نقع على **العمق والعذوبة معا.. وهما صفتان لا تجتمعان عادة** حيث تجد كل صورة بلاغية تطبيقا كاملا.. **فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز، من عمل محمد**؟ وهو العربى الأمىّ؟

أقول مع شوقى فى الهمزية!

يا أيها الأمىّ حسبك رتبة ∴ فى العلم أن دانت بك العلماء

تقول المؤلفة:

(إن انتشار الإسلام السريع لم يتم لا عن طريق القوة ولا بجهود المبشرين الموصولة.. إن الذى أدى إلى ذلك الانتشار كون الكتاب الذى قدمة المسلمون إلى الشعوب الأخرى مع تخييرها بين قبوله ورفضه، **كتاب الله كلمة الحق**).

وتقول المؤلفة:

(وبينما نجد جميع الأديان الأخرى تقدم إلى أبنائها حملا ثقيلا من العقائد التى لا يستطيعون حملها وفهمها: نرى الإسلام ذا **سهولة معجزة، وبساطة نقية كالبلور.**

وكان ذلك سببا أيضا .. سبباً آخر فى انتشاره السريع إبان الفتوحات الأولى بين أناس غرقوا فى اضطراب روحى عميق بسبب من الغموض الذى يكتنف بعض معتقداتهم الدينية. وهو أيضا السبب فى انتشاره الموصول اليوم بين الشعوب غير المتحضرة فى آسيا وافريقية، لأن الإسلام قادر على النافذ إلى أعماق نفوسهم من غير مالجوء إلى شروح مطوله أو عظات معقدة).

أقول إنه اليسر، سره الكبير.. إنها سماحته وبساطته كالأصداف بسيطة وتحمل اللآلىء الثمينة.

وفى باب المقارنات تقول المؤلفة إن الأديان عرفت الإحسان، وجها من وجوه الخير ولكن الإسلام ألزم المسلم بالزكاة (وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم).

الزكاة فى الإسلام أحد أسسه الخمسة.

تكلمت المؤلفة عن الإسلام والسلوك.. عن الإسلام والحضارة.

عن زيجات الرسول قائلة (تزوج محمد من نسوة لم يكن لا عذارى ولا شابات ولا جميلات فهل كان ذلك شهوة؟ كلا).

وأقول كانت عائشة عذراء جميلة وشابه وكان أبوها أبوبكر صديقه ورفيقه فى الغار وهى بهذا كله أثيرة لديه.. ومع هذا تزوج غير الشابات وغير العذارى، وغير الجميلات.. لأسباب تتعلق بالدعوة أسباب سياسية كما يقال فى العرف السياسى.. ولكل زيجة قصة إنسانية بليغة...

أضيف: إنه صلى الله عليه وسلم تزوج السيدة خديجة رضى الله عنها وهى فى الأربعين وكان هو فى الخامسة والعشرين. ولم يتزوج عليها طيلة حياتها وتزوج بعدها الأخريات لأسباب متعددة وكان هذا بعد أن بلغ الثالثة والخمسين أى ليس فى سن الاشتهاء.

أقول لقد تزوج موسى عدة مرات.

وتزوج الأنبياء الآخرون.

تحدثت المؤلفة عن صلة الإسلام بالعلم

ولكن ما أريد أن أضيفه فى اعتزاز أن الإسلام **لايرفض إلا الإلحاد.**

ما أريد أن أضيفه أن الإسلام **تفرد** بالاعتراف بالأديان السماوية جميعا وبالكتب السماوية **فى صورتها الأولى** كما أنزلت قبل أن يمسها تغيير من أى حجم وصفة..

إن الإسلام حين يقول (كنتم خير أمة أخرجت للناس) يقرن هذا بقوله فى تمام الآية: (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) كل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى عداد الخيرين الأخيار.

والإسلام حين يقول: (إن الدين عند الله الإسلام) بما هو دين الفطرة السليمة حتى بعد كل من سبقوه ممن سلمت فطرتهم ولسانهم وأعمالهم، مسلمين.

(ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) ١٢٥ م. النساء/٤

(فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) ١٤ ك الجن/٧٢

(وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) ٤٤ ك النمل/٢٧.

واعتراف الإسلام بالأديان الأخرى، توفيق وتوثيق فهو يستقطبها فيه بما هو خاتمها الجامع وختامها العاطر.

واعترافه بالأديان الأخرى، نفاذ شديد بقفل الباب أمام الردة، عنه، إذ فيم الرجوع وإلى أين؟ إلى المسيحية؟ إنه يعترف بها..

إلى اليهودية؟ إنه يعترف بها...

إن الإعتراف بالأديان الأخرى حظ كبير للإسلام ينفرد به ونبعه تسامح تحفظ عليه بشره وقوته وسط الظروف كلها وهى دليل قوة شخصية ووثوق.

ولعل هذا سر تمسك المسلم تمسكا غريبا بالإسلام حتى ليستحيل تحوله، مختارا، إلى دين آخر بينما يدخل أهل الأديان الأخرى فى الإسلام معززين منه وفيه.

أقول إن الإسلام دين الفطرة. لقد شرح «ابن طفيل» المسألة عقلانيا ولكن التجربة الدينية: بصيرة.. انفتاح.. التجربة الدينية لاتعادى العقل ولكنها أبعد منه مدى.. إن الخلد عندها لايعنى استمرار الزمن ولكن يعنى ما وراء الزمن...

كان التوحيد الإسلامى هو المحور الثقافى

توحيد الذات فلا انفصام ولا تشقق.

توحيد المجتمع فيبرأ من الشيع والتطاحن.

توحيد العالم نحو القيمة الكبرى أى الله.

ومن هنا يأتى التدين فى الإسلام تفسيرات وجدانية ارتفعت على لغو الكلام وعقم الجدل وأترعت بسلام وطمأنينة هى حكمة قلب حقق عمليا معنى التوحيد ومعانى الرحمة والبناء وعز الكلام والإتقان ونعيم البر بالحرفة وأبهة الخلق المتطلق والمطلق، وصمت الخاشع المستمع وهناءة المستمرئ السعيد.

الإيمان فى الإسلام هو ما استقر فى القلب وصدقه العمل، فلا يقول قائل (لا حول ولا قوة إلا بالله) ثم يخاف من إنسان حاكما أو محكوما ولا نقول (إياك نعبد وإياك نستعين) ثم نتخذ من دونه أربابا.

ومن هنا يكون الإسلام كرامة واعتدادا. فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

كتاب

الفن الإسلامى

تأليف
أرنست كونل

الفن الإسلامى

ألف الكتاب العالم الفنان «أرنست كونل» الذى درس القانون والآثار وتاريخ الفن والفلسفة فى جامعات باريس وفينا وميونيخ وفلورنسا وهايلدلبرج وكان مديرا لمتحف الفن الإسلامى ببرلين ثم أستاذا لتاريخ الفنون الإسلامية وأستاذا زائرا بمعهد الآثار الإسلامية بالقاهرة عدة مرات آخرها سنة ١٩٣٦.

وترجم الكتاب الدكتور أحمد موسى.

والكتاب يتناول الفن الإسلامى فى عصوره المختلفة ومواطنه المتعددة وقد وقف المؤلف طويلا عند ريادات مصر والقاهرة. ويقول عن باب الفتوح، إنه يبدى فوق المدخل (أول مثال للقبة المسطحة المبنية بالحجر المنحوت فوق وصلات دائرية).

ووقف مبهورا عند الواجهة الفخمة لجامع الأقمر (فهى غنية بحنايا تنتهى بتضليعات مخوصة على شكل الصدفة... وقد صار هذا الأسلوب فيما بعد جوهريا فى زخرفة المآذن على الأخص.. فالوردة البديعة المحفورة المفرغة فى جامع الأقمر ترينا مدى التفوق الفنى فى مدينة الزهراء حيث معالجة المسطحات العليا وصنع العرانيس فى بعض النصب المحفوظة).

ويقف الأستاذ ارنست كونل عند العصر الذهبى الفاطمى فى أوائل القرن الثانى عشر... وفيه رسوم إنسان وحيوان منوعة تمثل موسيقيين وراقصات ومناظر صيد وغيرها، منقولة بأمانة عن الطبيعة وفى ذلك مايدل كما يقول على تسامح الشيعة وهى بارزة من القاعدة فى اتقان. وقد وردت محفورات أخرى من هذا القبيل للكنيسة القبطية

«السيدة بربارا» وهى موجودة الآن فى المتحف القبطى بمصر القديمة. وأهم من هذا سقف كنيسة «الكابيلا بالاتينا» فى باليرمو، الذى يبدأ فى الرواق الأوسط بقبوة مقرنصة عريضة عديدة الصفوف. ثم ينتقل إلى سقف من مناطق ذات نجوم مثمنة غائرة. والمسطحات الناشئة فى مثل هذه الترخية فى النحت، هذه المسطحات الصغيرة التى لاتحصى، مصورة جميعها تارة بالنقوش الكتابية والأرابيسك، وتارة بموضوعات حيوان فوق عرانيس، وكذلك أيضا بتصاوير آدمية مختلفة متعددة فى ألوان زاهية.

ويعالج بعض هذه الرسوم موضوعات مماثلة لتلك المحفورات فى القصر الفاطمى، على حين يحتوى قسم آخر موضوعات أسطورية ولاشك أن السقف بأكمله صناعة إسلامية عربية خالصة أوصى بعملها الملك روجر الثانى لكنيسة قصره.

هذه شهادة عالم مسيحى أوربى. شهادة للفن الإسلامى وشهادة لمصر الإسلامية.

ويؤيد «ارنست كونل» المؤلفين العرب فى أنه لابد أن تكون قد **وجدت فى القاهرة مدرسة خاصة بالمصورين،** أقدمت فى نطاق الهندسة المعمارية دائما، على موضوعات تتناول الأشكال الكبيرة أيضا. والظاهر أنها استخدمت وسائل خيالية تثير الاهتمام.

ويقول ارنست كونل (**من الأهمية بمكان تلك الخطوات التى خطتها مصر فى ذلك الوقت صناعة البرونز.** فالزخرفة المحفورة فى المسطح على السلطانيات والبراميل والشمعدانات والمجامر والدفوف، وغيرها من نماذج الأدوات التزمت نطاق الطراز الفاطمى المألوف محلاة بنقوش أدعية، وجامات بها حيوان وقد وجدت إلى جانب ذلك أشياء مصبوبة فى قوالب ومنحوتة على صورة الحيوان كالأباريق والمباخر... وأروع قطعة من هذا النوع، يبلغ ارتفاعها مترا، وتمثل العنقاء المشهورة المحفوظة فى كامبو سانتو بمدينة بيزا... وقد جاءت من مصر مع إحدى الحملات الصليبية.

وعن **الخزف ذى البريق المعدنى** يقول إنه بين ما يسمى «شقافة الفسطاط مما استخرجته الحفريات فى مصر القديمة بالألوف، نجد فى النوع الأسبق كثيرا جدا رسوما تمثل الإنسان. وقد نجح فيها البريق المعدنى فى انسجامات مختلفة، وأجرى أيضا فوق تزجيجات ملونة، ويمكن أن يستنتج من كمية الطينة المستعملة فى الخزف أنه كان بالقاهرة عدة مناطق للفخاريين.

وفى **صناعة النسيج** يقول كانت مصر منذ القدم الموطن الكلاسيكى لصناعة نسج الكتان.. وإلى أواسط العصر الوسيط كانت منتجات هذه الصناعة أهم صادراتها إلى الخارج فالشيلان الرقيقة ومنسوجات الباتستا المخرمة الواردة من وادى النيل، كانت نادرة المثال، تكسبها قيمة خاصة تلك الأشرطة الحريرية التى كانت تتخللها تحلية لها.

وعن دار «**الطراز**» المصرية، يقول إنها بلغت فى العصر الفاطمى مقدرة على الأداء لم يسمع بها لنظامها المثالى. وكانت تصنع للخليفة أقمشة ثمينة جدا مزركشة بالذهب. بيد أن الترف الذى كان مسموحا به للفنانين العاديين، يبدو أنه بولغ فيه كما تدلنا الآثار التى عثر عليها فى مقابر مصر العليا. فقد كانت القمصان والأردية الخارجية، والأحزمة والعمائم محلاة بأشرطة من الحرير السميك المشغول بالإبرة بمنتهى الدقة.

ويقول إن مصر التى حاربت التتار والمغول دفاعا عن الإسلام، لم تشغلها الحروب عن تزيين العاصمة بالعمائر التى (بهرت العالم طرا. وقد زاول العباسيون الذين طردوا من بغداد، خلافتهم الصورية – وقد باتت مجرد شىء رسمى – تحت حماية بلاط القاهرة).

وهو بلاشك يقصد عمائر الأحياء وعمائر الأموات فعن أضرحة صحراء المماليك أو القاهرة الشرقية يقول إنها (حافلة بمجموعة من أمثال هذه المبانى التذكارية، **تعد بحق أروع مدينة أموات فى العالم**).

وعن **بصمة القاهرة فى العمارة** يقول (فى سوريا ارتبطت العمائر الدينية المملوكية بنماذج القاهرة ارتباطا يكاد يكون وثيقا).

وعن مآذن القاهرة يشهد أن من العوامل المهمة فى نشدان روعة التأثير إدماج المآذن فى الوجهات بحيث لايكون لها وهى قائمة على إحدى الزوايا أو كلتا الزاويتين قاعدة خاصة بها بل تشيد فوق كورنيش البناد. وقد كانت المآذن فى تشييدها المقرر لطابع مدينة القاهرة من ذلك الحين مشكلة فى مبدأ الأمر على هيئة مربع ثم على هيئة مثمن، وبعد ذلك على شكل مستدير، لكنها لم تتلق إلا فى هذه الفترة مابث فيها من روح مميز ألا وهو الحنايا والدهاليز المقرنصة، وقد نشأ عن تنفيذ هذه الموضوعات، وكان غالبا، تنفيذا بديعا، وكذلك عن التبديل بالحليات الهندسية، متنوعات متعددة لزمها إلى نهاية الفترة فهم جلى للنسب الجميلة والتنظيم العضوى.

ويدلف الوصف إلى داخل المسجد المصرى فيلاحظ أن الدلايات فيما يتعلق بالزخرفة الداخلية شائعة الاستعمال بخاصة فى رقاب القباب، وذات أهمية معمارية... كما كانت تغشية الجدران ببلاطات من المرمر، وحائط المحراب خاصة، بفسيفساء الحجر أمرا مألوفا. وكان المحراب فى عهد الفاطميين يصنع من الجص أو الخشب، لكنه فى عهد المماليك لم يعد يصنع من ذلك إذ باتت له وظيفة عضوية، وأصبح له **بعقده** المستدير أو المدبب وإطاره المستطيل **جهاز غنى** من فسيفساء الرخام لايبدى نماذج هندسية فحسب، بل كذلك نماذج مقوسة دقيقة الصنع.

ومما يقرر صورة القاهرة وشوارعها فى النفس إلى يومنا هذا المشربيات وهى تكعيبات خشبية ذات زوايا، مركبة فى الطبقات العليا الخارجية. وتستحق أمثلة قديمة منها، أحيانا بوصفها من أعمال الخراطة الجديرة بالملاحظة... نفس الالتفات الذى تستحقه أعمال (الأويمه) **المحفورة** فى الركائز التى ترتكز عليها.

ويتحدث أرنست كونل عن براعة القاهرة فى التكفيت بالذهب والفضة وبلوغها ذروة فى كرسى السلطان قلاوون وكرسى السلطان الناصر (١٣٢٧م) الموجودين فى المتحف الإسلامى.. كما تحدث عن تفنن مصر فى الشمعدانات التى جرت العادة المصرية على أن يوضع اثنان فخمان منها على جانبى المحراب.

وتبهر بعد ذلك تلك القناديل الثمينة التى كانت السلاطين والأمراء المماليك يهدونها إلى بيوت الله بالقاهرة وكانت تصنع من الزجاج المذهب المموه بالمينا.

وكانت **النسخ الفاخرة من المصاحف** المكتوبة بأقلام مشاهير الخطاطين فى مقدمة هدايا القاهرة التى أخرجت حينذاك خطاطين عالميين بارعين فى الخط «الثلث» المفضل المشتق من الخط النسخ... وكان المزخرفون المعهود إليهم فى رسم صفحات العنوان ورءوس السور ودلايات الهوامش وتذهيبها يجيدون، مع الالتزام الدقيق للمنهج، تنويع الزخرفة التى كان اللونان الأزرق والذهبى هما السائدان فيها... وكان المجلدون فوق ذلك يأتون بالمعجب المطرب من طريقة الضغط التى تميز بها العهد المملوكى والتى كانت تقوى بدلايات مصحوبة بأشكال أرابسك متقطعة فوق أرضية من الحرير تضىء خلالها.

وعن **سجاد مصر** يقول «ارنست كونل»:

(يروى رحالة سابقون بما لايدع مجالا للشك أنه فى العهد المملوكى التالى كانت تصنع سجاجيد معقودة لاستعمال البيت فى القاهرة. ويصح أن يعد أكيدا أن ما يسمى

بالسجاجيد الدمشقية، وهى التى حملت هذا الاسم فى أسواق البندقية خطأ فى أكبر الظن، هى نفسها من إنتاج مصر. وقد بقى أكثرها محفوظا، ويرجع بعضها إلى القرن الخامس عشر وبعضها إلى أوائل القرن الذى يليه، ولها دائما صبغة واحدة لاتتغير مؤلفة من الألوان الثلاثة: الأحمر والأزرق الفيروزى والأخضر الزمردى.

أما فى الرسم فتنفرد عن غيرها كل الانفراد: وفرة محيرة فى الموضوعات الهندسية المتبدلة تبدل المبداع، الحافلة بالنبات، تغطى المساحة ولاتتباين معها الأشرطة المتشابهة الألوان إلا قليلا. ومادة السجاد من الصوف اللامع إلا أن تكون من الحرير، وهذا بصفة استثنائية، ومسطحها إما مربع ليتمشى مع أرضية القاعة وإما مستطيل. وأجمل مثال لهذا النوع جاء إلى المتحف النمسوى للفنون والصناعات فى فينا من مقتنيات بيت هابسبورغ الامبراطورى).

ويقرر ارنست كونل أن طراز مصر فى تكفيت السلاح قد دخل الكثير منه فى مجموعات الأسلحة فى استانبول. ويقول (أجمل ما أخرجت صناعة الأسلحة الإسلامية – بحق – بلط القتال المملوكية على الإطلاق، فهى تنم عن الذوق بصورة بينة سواء فى ذلك مقبض البلطة ونصلها).

ويتحدث المؤلف فى انبهار عن الكتاب المصرى الذى كان يطرز بالحرير فى غرزة نسج فائقة العناية حتى يخيل إلى رائيها من فرط دقتها أنها مصنوعة بالآلة.. وذلك بعد أن كانت غرزة المغراز التى ترسم المحيط ماتزال تستعمل فى العهد الفاطمى.

يقول (لدينا كثير من نماذج الأقمشة ترجع إلى ذلك العهد قد حملت معها إلى أوربا أسلوب الغرزة المسماة هولبين، وهى ترسم المحيط بصورة أدق، وإلى هذا الأسلوب يرجع الفضل فى طائفة من التطريزات الفائقة الروعة فى عصر النهضة.

وأخيرا كان طبع الأقمشة بلون واحد محبوسا على الكتاب فى عصر المماليك.

بل إننا لنملك عددا من عصى الطبع مصنوعة من الخشب مما كان يستعمل لهذا الغرض ويستخدم بمهارة بلغ منها أن أنشأت رسما منسجما جدا ظل يتتابع طبعه).

هذه لمحات فحسب من دور مصر فى الفن الإسلامى سجلها أستاذ دارس للفنون... أجنبى لادخل للعاطفة فيه.

مازلت أقول إن أعظم إضافة إلى الحضارة الإسلامية، فى الفن، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة.

كتاب
الفن الإسلامى
تأليف
أبو صالح الألفى

الفن الإسلامى

الفن الإسلامى: **أصوله - فلسفته - مدارسه**. كتاب كبير ألفه أستاذ تاريخ الفن بكليتى الفنون الجميلة والآثار الأستاذ أبوصالح الألفى، تكلم فيه عن الحضارات القديمة ومظاهرها ومراكزها وفنونها ومميزات كل.

ولما كانت حضارة مصر، دينية، تحلم بالخلود وتعرف البعث والعالم الآخر فقد قامت فنونها تتهيأ لهذه المرحلة، وتتغيا هذا الهدف الذى وصل إلى مرتبة العقيدة.

يقول الأستاذ أبوصالح الألفى:

(تخطيط المعابد يعتمد على الخط الممتد فى طريق الكباش إلى قدس الأقداس، مارا بالفناء السماوى إلى بهو الأعمدة، يرمز إلى الطريق الطويل الذى يقود الإنسان من الحياة الدنيوية الفانية، إلى الحياة الأخروية الباقية فى رحلة شاقة. يعتمد فيها على الإيمان والإخلاص والوفاء والخلق القويم).

ويقول: (إن ما وصل إليه الفنان المصرى القديم، من قيم عالية من حيث الاتزان والإبداع فى الرسوم والنقوش الجدارية، لم يعتمد فيها على معالجة الخطوط فقط، وإنما اعتمد أيضا على توزيع المساحات والقيم الضوئية مما يجعل الفن المصرى القديم سابقا لجميع الحضارات فى الوصول إلى هذا المستوى التشكيلى البحت، الذى يعتبر الهدف الأول لكثير من مدارس الفن المعاصرة، بالإضافة إلى المضمون الفكرى الذى يتضمنه كل خط وكل سطح).

وحين تكون (الواقعية) فى الفن الإغريقى فردية محدودة غيرها فى الفن المصرى كونية هندسية.

يقول الدكتور أنور شكرى فى كتابه (الفن المصرى القديم).

(لقد مكث الفنان المصرى يمثل الأشياء من أخص مظاهرها دون اعتبار لما يظهر أو يختفى منها لعين الرائى، ولم يشأ أن يسجل المظاهر العارضة والأحداث الزائلة كالظلال المتغيرة، إذ لم يكن يعنيه أن يسجل لحظة معينة من وجهة نظر محدودة، قدر ما كان يعنيه أن ينشىء صورة خالدة أقرب إلى الأصل الحقيقى بما تصوره من خصائص ذاتية).

والمؤلف يلتقى معه فى هذا الرأى.

ويقول رينيه ويج: هذا الفن المصرى كان من أوائل الفنون التى جرؤت على التبسيطات الكبرى فى التجسيم.. حتى إن الرسام التكعيبى أندريه لوت، فى سنواته الأخيرة، تأثر تأثرا بالغا بالفن المصرى، وأدرك ما فيه من اتجاهات يحاول الفن الحديث محاكاتها.

وإذا كان المسرح أبا الفنون فإن العمارة أمها.

وقد استوعبت العمارة المصرية فنون مصر التشكيلية كلها.

وفنون مصر القديمة والمسيحية والإسلامية بينها خيط حريرى غير منظور بحيث لاتسقط الأضواء عن قسماتها أبدا.. وإن كانت فنون مصر المسيحية فنوناً شعبية لأن المسيحية فى قرونها الأولى فى مصر لم تكن تحكم أو تملك فهى دين الطبقات الشعبية ثم هناك عامل «التقية» ففنها حبيس الأديرة والكهوف.

وعن **التصوير** فى الإسلام يقول المؤلف إن الأوائل استشعروا الحرج منه لقرب العهد بالأصنام ولكن رجال الدين المعاصرين يبيحون التصوير مادام لايصرف المسلمين عن العقيده أو العمل. وهنا استشهد بقول الإمام الشيخ محمد عبده (يغلب على ظنى أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم، بعد التحقق أنه لاخطر منه على الدين لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل).

ومثل هذا قال به الشيخ شلتوت شيخ الجامع الأزهر فى مقدمة كتبها للمعرض الفنى الرابع لطلاب الأزهر عام ١٩٦٤.

والفنان المسلم حين يتناول عناصر الطبيعة ويفككها إلى عناصر أولية يعيد تركيبها من جديد فى صياغة طروب عذبة يشبه الفن التكعيبى فى العصر الحديث فهو أيضا يقوم على صياغة إيقاعية جديدة للعناصر الطبيعية بعد تحليلها إلى سطوح وأحجام هندسية.

وهنا يقارن الأستاذ أبو صالح الألفى قائلا:

(الفارق بين الفنان المسلم والفنان المعاصر أن الفنان المسلم حقق فاعليته الفنية التى استشعرها فى نفسه تعبيرا عن موقفه إزاء الطبيعة، أما الفنان المعاصر فإنه يعبر عن فلسفة عقلية منطقية والفنان المسلم يقدم لنا فى رقة وأناقة وعذوبة صياغته الجديدة أما الفنان المعاصر فكثيرا ما يقدم لنا أشكالا مشوهة لاتحقق الاستمتاع الجمالى واستشعار العذوبة التى نلمسها فى الفن الإسلامى).

ويلاحظ المؤلف الارتباط بين الفنان المسلم والأسطورة الشعبية فى فنون تشكيله فهو يهوى الأشكال الحيوانية المركبة أو الخرافية على أساس أنها من الممكن أن تكون كذلك وهو فى هذا يسير على هدى الآية الكريمة (ويخلق ما لاتعلمون).

والفنان المسلم فى هذا الصدد لايغيب عنه رموز ألف ليلة وليلة وإحساس المسلم الدائم بوجود الباطن وعدم الاكتفاء بالظواهر من بهرج الحياة.

إنه فى بحثه الدائب والدائم عن أشكال جديدة تثير الخيال يتمثل الآية الكريمة (يزيد فى الخلق ما يشاء)، وعند المؤلف أن الفنون الإسلامية **ابتعدت عن التجسيم**.

ويقول المؤلف بظاهرة هامة تبرز شخصية الفن الإسلامى وهى تقسيم السطح إلى مساحات ذات أشكال هندسية مختلفة وداخل هذه الأشكال يعطى الفنان المسلم لنفسه الحرية فى اختيار الوحدات الزخرفية استمدادا من العناصر النباتية إلى الأشكال الهندسية أو الحيوانية أو الخطية وقد يجتمع فى المساحة الواحدة هذه الأنواع الزخرفية كلها وكثيرا ما يكون الانتقال مفاجئا غير متوقع من عناصر زخرفية ذات طبيعة خاصة إلى عناصر أخرى.

ثم تكلم عن ألوان الخطوط فى الفن الإسلامى ودورها وخطرها فى تحرير الأشكال أو إعطائها بعدا جديدا.

وإنه لمما يثير العجب حقا والإعجاب معا، قدرة الفنان المسلم على الموازنة بين الخط اللين والخط الهندسى فى تآلف عجيب، مع اختلاف طبيعة كل نوع من هذه الخطوط.. الأمر الذى استهوى واستوقف الباحثين والدارسين.

ووقف المؤلف وقفة ليست بالقصيرة عند اللون باعتباره صفة طبيعية من صفات الأشياء.

واللون مرتبط أشد الارتباط بالنور إذ لايمكن رؤية اللون فى الظلام.

واللون يستعمل لذاته قيمة جمالية

وقد **يخدم** الرمز.

يقول جون ديوى (الواقع أن لدى العينين تعطشا للضوء واللون) ويغلب على الفن الإسلامى الألوان الزرقاء والخضراء والذهبية وقد تأثر «ماتيس» بالألوان الإسلامية عند زيارته لشمال افريقية.

وإذا كانت الألوان نقيه فإنها تعبر عن النور والظلمة والفن الإسلامى لايحب الفراغ ولهذا فهو يملأ السطح بالنقوش والنمنمة وهو هنا من أغنى الفنون فى التنوع والوفرة شاهد الحضور على واجهات المبانى أو التحف أو الأعمال التشكيلية المختلفة.. مستغلا القيم اللمسية لسطوح الخامات الطبيعية.. مكونا من هذه كله ايقاعا جميلا يعذب ويحلو على الترديد.

والإيقاع فى الفن الإسلامى يعتمد على **التماثل والتناظر والتبادل** كما يعتمد على الخط اللين والهندسى وتعدد المساحات فى توزيعها وتنوعها ثم يأتى الإيقاع الخطى متراقصا يوحى بالمسرة. ولهذا كان للخطاطين المنزلة الأولى بين الفنانين لاسيما أنهم منوط بهم تحديد الفراغات التى يملؤها الرسام.

ومن تحصيل الحاصل أن نقول بعد هذا كله إن الفن الإسلامى فن زخرفى وله فى هذا شخصية لاتخطؤها العين، فحين تتشابك قواطع الزوايا وتتزواج الأشكال الهندسية لتحقيق مزيد من الجمال الرصين.. وحين تتجاوز فى وفاق الدوائر المتماسة والجدائل، والخطوط المنكسرة والمتشابكة وينضم إلى الجمع السعيد المثلث والمربع والمعين والمخمس والمسدس، تجد الفنان المسلم والفن الإسلامى.

ويتبادل الخط الهندى والخط المنحنى التطريب والترديد.

يقول الأستاذ بشر فارس:

(وكلا النوعين ينفرش على المهاد ويكسو العصاب ويثب على الإفريز ويتناول العرضى ويهجم على الفراغ وتبلغ به الهمة أن يتعرج حتى فى الأكسية..

تلك نشوة مشت فى الخط تُنْبِئُك أن أفق الغيب المستغلق المؤمن، مشغلة دائمة لذوقه).

ويتكلم الكتاب فى استفاضه عن العناصر المعمارية الإسلامية من مساجد ومآذن وقباب وأعمدة وعقود ومداخل ومقرنصات ثم تكلم عن طرز العمارة فى المساجد الأولى ثم العصر الأموى ثم العصر الأموى المغربى ومميزاته ثم الطراز العباسى ممثلا فى بغداد ومدينة سامرا وقصر الأخيضر والجامع الأزهر باكورة العصر الفاطمى ثم جامع الحاكم وأسوار القاهرة

بعد هذا الطراز الأيوبى والطراز المملوكى ودرته مسجد ومدرسة السلطان حسن.

ثم الطراز السلجوقى والطراز المغولى.
ثم الطراز المغربى الإسبانى.
ثم الطراز الصفوى والطرازى الهندى.
ثم الطرازى التركى العثمانى.

ويتحدث الكتاب حديثا موسعا عن (التصوير والفنون التطبيقية والزخرفية) ومدارسها.

ولما كان (فن الكتاب) من أهم الفنون الإسلامية تحية لأخلد كتاب وهو القرآن الكريم فقد اشتمل هذا الفن على:**الخط والتذهيب والتصوير والتجليد حتى انفرد الفن الإسلامى من بين فنون العالم بالخط الزخرفى الذى استعمل فى أوسع نطاق** وفى جميع المنتجات الفنية.

ووقف الكتاب عن فن النحت وفن الحفر وفن الخزف وفن الفسيفساء وفن شبابيك القلل دانتلا الفخار وقد اختصت مصر بهذا الفن وهى التى **جمعت** فأوعت الفنون الأخرى جميعا.

وتناول الكتاب فن الزجاج والبلور وفن النسيج والأبسطه وهذا كله على امتداد ٣٠٥ ثلاثمائة صفحة وخمس صفحات، يضاف إلى هذا ملزمتان أى ٣٢ صفحة (هما اثنتان وثلاثون صفحة) من اللوحات قربى إلى الله. **الفن الإسلامى** بما أبدع أصحابه وجودوه تشكيليين وكتاباً.

كتاب

أطلس تاريخ الإسلام

تأليف

دكتور حسين مؤنس

أطلس تاريخ الإسلام

هذا الكتاب الكبير العمدة ألفه الدكتور حسين مؤنس ويتكون الكتاب بداية من عشرين فصلا. والكتاب يقع فى ٥٣٠ صفحة حجم ٣٧ X ٢٧سم الفصل الأول عبارة عن: (مدخل فى علم الخرائط عند المسلمين).

والمؤلف الدكتور حسين مؤنس أستاذ تاريخ إسلامى ولكنه يرى أن البشرية لها ثلاثة أبعاد: المكان – الزمان – الإنسان.

ولكنه حين كتب هذا الأطلس الجغرافى التاريخى كان يؤمن بأن (المؤرخ لايتمكن من فنه إلا إذا كان له علم متين بالجغرافية، ولايصلح الجغرافى إلا إذا كانت لديه قاعدة سليمة من العلم بالتاريخ، لأن الجغرافية هى علم المكان والتاريخ هو علم الزمان، والزمان والمكان هما بعدا الوجود البشرى كله، والبعد الثالث هو الإنسان نفسه وهو موضوع التاريخ والجغرافية جميعا...)

وحين نعلم من هذا الفصل أن العرب لم يؤثر عنهم التفكير فى رسم خرائط تاريخية قبل الإسلام، ندرك النقلة التى حدثت بعد الإسلام، وبفضله، فهو الذى حث على العلم وطلبه والسعى إليه فى أى موطن حتى ولو كان ذلك الموطن لم يدخله الإسلام فحين وجه الرسول المسلمين إلى طلب العلم ولو فى الصين لم يكن الإسلام قد بلغ الصين.. أى أن أهل الصين فى زمن الرسول لم يكونوا مسلمين ولكن العلم هو العلم.

والإسلام هو الذى دعا إلى المشى فى مناكب الأرض.

وليس غريبا أن يبرعوا بفضل الإسلام فى علم الخرائط التى تعتمد على الرحلة والتحقيق والمشاهدة الشخصية وهذا النوع الذى يسمى أصحابه (مدرسة الجغرافية الوصفية) . وهذه كما يقول المؤلف هى (أصح الخرائط العربية وأعظمها قيمة من الناحية العلمية والعملية) وليس غريبا أيضا أن تكون خريطة «الإدريسى» ، (أول خريطة كاملة للأرض عملها إنسان) .

وقد كان الجغرافيون القدماء يكتبوب الأرقام فى خرائطهم ونصوصهم بالحروف ثم تطورت أشكال الأرقام على أيدى العرب وقد نقلها أهل الغرب عنهم وهى التى تعرف عندنا بالأرقام الأفرنجية وهى أرقام عربية من صنعنا.. بينما الأرقام السائدة فى العالم العربى إذا استثنينا المغرب إنما هى أرقام هندية.

ويتحدث الفصل الثانى عن (مراحل انتشار الإسلام فى العالم حتى اليوم) . تحدث المؤلف فى هذا الفصل عن موجات التوسع التى شملت فارس والروم والمشرق والمغرب ثم الهند وإفريقية المدارية والاستوائية ولكننى أقف فى هذا الفصل عند (طبيعة التوسع الإسلامى) .

إن فتوحات الإسلام ليست الأرض ولكنها (فتوح) فى العقل والنفس (فتوح رأسية فى العمق لاتقل أهمية عن الفتوح الأفقية فى الاتساع) ومن هنا صعوبة تصوير هذه الفتوح الرأسية الحضارية الهامة على الخرائط ولهذا اكتفى المؤلف على بيانها فى النص.

هذه الفتوح فى الأعماق والآفاق أو (هذه الحركة المتصلة ترجع أساسا إلى أن الإسلام بطبعه قوة حضارية مجاهدة) .

وتحدث المؤلف عن (القوى الغربية وتقدم الإسلام) ومن الغريب أنه قصرها على روسيا حيث يقول صادقا (إن عملية البناء الرأسى فى العمق تسير بقوة ونشاط فى داخل العالم الإسلامى وخارجه، وتأخذ صورا وأشكالا ندركها ونفهمها أحيانا، ولاندركها فى أحيان أخرى، فى داخل العالم الإسلامى وخارجه، ولكننا نحس بها فى كل حين، وإذا كان المسلمون لايدركون حقائقها وأبعادها أحيانا فإن القوى غير الإسلامية التى تحرص على سيادة ماتستطيع سيادته من هذا الكوكب تحس بقوة دفع الإسلام وحيويته إحساسا دائما، وأكبر دليل على ذلك، هذا السيل المتدفق من الكتب والدراسات الإسلامية التى لايتوقف صدورها فى بلاد الغرب وحرص الروس الشديد على وقف التقدم الإسلامى

بمحاربته فى البلاد الإسلامية التى استولوا عليها وحكموها كمستعمرات قبل ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ ثم سموها جمهوريات سوفيتية اشتراكية بعد تلك الثورة، ثم هجومهم العدوانى على أفغانستان فى ١٩٧٦م وهو هجوم لايزال مستمرا حتى سنة ١٩٨٧، وهو يمثل الناحية العسكرية من حرص الروس على التدخل فى شئون الإسلام، ووقف تحركه، كما رأينا فى تشجيعهم السريع لقيام دولة إسرائيل فى قلب العالم الإسلامى، ثم اجتهادهم الدائم بالتدخل السياسى فى شئون الشرق الأوسط وهو قلب عالم الإسلام).

أرى هذا القول يصدق على أمريكا وأوربا كما يصدق على روسيا.. إن روسيا وأمريكا يختلفان فى كل شىء ولكنهما يتفقان على حرب الإسلام. إن وعد بلفور ربيب انجلترا، وأمريكا اعترفت بإسرائيل بعد خمس دقائق من إعلانها هى صاحبة الفيتو التى تشهره فى وجوهنا دفاعا عن عدوان إسرائيل...

لن ننسى مسلمين ما فعلته روسيا وأمريكا والغرب جميعا.

يقول لورنس براون (الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام، وفى قدرته على التوسع والإخضاع وفى حيويته... إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى).

وتقول مجلة العالم الإسلامى الإنجليزية : (إن شيئا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربى. ولهذا الخوف أسباب منها: إن الإسلام منذ أن ظهر فى مكة لم يضعف عدديا، بل دائما فى ازدياد واتساع. ثم إن الإسلام ليس دينا فحسب، بل إن من أركانه الجهاد. ولم يتفق قط أن شعبا دخل فى الإسلام ثم ارتد).

ثم الحروب الصليبية وجوهر المسيحية برىء منها فإن الإسلام مكمل للمسيحية معترف بها وفيه تحية **للمتواضعين** من أهلها ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون.

كم ناصب الروس والغرب الإسلام العداء مما غطاه الأستاذ العقاد فى كتابين (مايقال عن الإسلام) وكتاب (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه).

وقبله الشيخ محمد عبده الذى تكبد الرد على مسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا فى ذلك الوقت....

إن العالم الإسلامى حتى فى ضعفه يخيف الأقوياء روسيا وأمريكا معا إنهم يحفظون جيدا أن الإسلام فى مبدأ أمره حين أزاح امبراطورية الفرس، وأطاح بامبراطورية الروم،

لم يكن أتباعه أو جنوده فى ذلك الوقت، الأعلم أو الأغنى، أو الأكثر عددا وعدة، بل العكس هو الصحيح.

إذاً هى شحنة الإيمان بالإسلام، وقدرته القادرة على التحريك، ولكن متى يكون ذلك ؟

تاريخ الإسلام يثبت أنه عندما يعتنق على وجهه الصحيح، تصير الغلبة للمسلمين، وعندما يهبط به المسلمون إلى طقوس مسطحة مجردة من الجوهر يهبطون بدورهم ويتخلفون عن الريادة والقيادة، لسيادة الشكليات دون الأساسيات التى تبنى النفوس وتبنى، ببنائها، الأنظمة.

هذه صفحات لابد من إضافتها فى محاولة مناقشة رأى المؤلف الذى قصره على عدو دون الآخر، وكلهم أعداء للإسلام وأوطانه.

أعود إلى الأطلس.

الفصل الثالث جداول تاريخية مقارنة لأهم أحداث التاريخ الإسلامى، وتعاصر الدول الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى آخر القرن الرابع عشر الهجرى.

جداول لاغنى عنها لدارس تاريخ الإسلام لمعرفة الوضع السياسى فى كل قطر من أقطار الإسلام فى كل وقت من الأوقات وكذلك جداول الدول المتعاصرة أو المتزامنة.

ولم يكتف المؤلف بالجداول التاريخية بل عززها باللوحات التاريخية المقارنة Com-parative Historical Charts على امتداد المساحة الزمنية من بدء التاريخ الهجرى إلى العصر الحديث.

ويدور الفصل الرابع عن العالم قبل الإسلام.

العالم القديم فى عصر البعثة النبوية الشرق الأدنى - الشرق الأوسط - فارس - الهند - الصين - وقبل هذا وقف وقفة طويلة عند أوربا وسطها وشرقها ووقفة خاصة عند إسبانيا..

وهذا الفصل كسائر فصول الكتاب معزز بالخرائط.

ويتعطر الفصل الخامس بالسيرة النبوية والعصر النبوى. ويحكى المؤلف أن المحاولة كانت عسيرة جدا على الرغم من أن العرب ألفوا فى جغرافية الجزيرة كتبا ورسائل

كثيرة، ولكن الصعوبة نجمت عن عدم ثبوت المواقع فى شبه الجزيرة، حتى أن المؤلف حين أراد فى الخريطة رقم ٤٠ أن يصف الطرق الرئيسية بين مكة المكرمة والمدينة المنورة والطرق الجانبية التى كان الرسول يسلكها، اجتهد فى توقيع أسماء المواقع التى درست معتمدا على المعلومات التى لديه عن المسافات.

والخرائط ليست رسما فحسب على أهمية ما يعنيه من توضيح ولكنها تحقيق وتصحيح والمثل: (معركة أحد).

يقول المؤلف: (كنا مثلا نظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقف الرماة بقيادة عبد الله بن جبير على جبل أحد، وتبينا الآن أن ذلك غير صحيح، لأن ارتفاع تل أحد اليوم يصل إلى نحو ١٢٠ مترا، فإذا قدرنا أنه فقد حوالى عشرة أمتار بفعل الرياح وعوامل التعرية خلال القرون الماضية، فهذه مائة وثلاثون متراً، وليس من الممكن أن يرمى رام نبالا ويصيب من مثل هذه المسافة، والمعقول أن يكون الرماة قد وقفوا على تل عينين قليل الارتفاع جنوبى أحد وعلى مسافة قليلة منه، لكى يكون لنبلهم الأثر المطلوب، فإن المشركين كان فيهم مائتا فارس، فى حين لم يزد فرسان المسلمين على العشرة، ومثل هذه القوة من الخيالة كانت كفيلة باجتياح مشاة المسلمين، ولم يكن هناك سبيل لحماية المسلمين منها إلا بالرماة يقفون على تل قليل الارتفاع، فتخيفها خوفا شديدا، ولايرهب الخيل ويوقف حركتها شيء مثل السهام التى تصيبها فى الوجوه والصدور أو تمر سريعا بوجوهها، وهذا هو الذى حدث فى الدور الأول من المعركة عندما ألغى الرماة عمل الفرسان، وأصبحت المعركة معركة مشاة كما حدث فى بدر حيث اجتاح المسلمون أعداءهم، حتى إذا نزل الرماة عن تل عينين أتيحت الفرصة لخيل المشركين فاندفعوا يشتتون صفوف المسلمين، ويقتلون منهم كيف يشاءون، وهنا تدخل المعركة فى دورها الثانى).

والخريطة رقم ٥١ خريطة نادرة لمكة ومناسك الحج كما رسمتها فى الغالب مصلحة المساحة المصرية فى منتصف العشرينات من هذا القرن. كما يضم الأطلس عددا من خرائط ابراهيم باشا رفعت. وليس هذا بالشيء القليل فإن كتابه (مرآة الحرمين) بجزئيه مصدر هذه الخرائط يعد (من ذخائر المكتبة العربية).

والأطلس بدوره، مرأة، لشجرات الأنساب العربية، والفتوحات الإسلامية، والمغرب والأندلس وإيران والهند ومصر والسودان والشام.

ووقف الأطلس عند الدولة الأموية والعباسية والعثمانية.

ولم يغفل الأطلس، الاقتصاد وطرق المواصلات والحج.

وفى الفصل العشرين وقف وقفة طويلة استغرقت سبعا وعشرين صفحة عند عالم الإسلام فى العصور الحديثة.

وهكذا نرى كتاب أطلس تاريخ الإسلام موسوعة إسلامية.. موسوعة جغرافية تاريخية تلتقى فيها الكلمة والخريطة والتحليل والرأى والتحقيق والتوثيق وحشد المراجع عربية وأجنبية. إنه عطاء علمى جليل القدر، باقى الأثر.

كتاب

الوادى المقدس

تأليف
دكتور محمد كامل حسين

الوادى المقدس

ألف هذا الكتاب الأديب الطبيب الدكتور محمد كامل حسين.

يقول المؤلف (الوادى المقدس هو البقعة من الأرض، وهو القطعة من الزمن، وهو الحال النفسية التى تسمو فيها فوق طبيعتك وطبيعة الأشياء، فوق ضرورات الحياة، بل فوق حدود العقل).

أقول حين تجلى الله فى سيناء قال لموسى (فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى).

الوادى (هو حيث تهتدى إلى الحكمة والتفكير المستقيم، حيث تطلع على حقيقة من حقائق الكون ناصعة واضحة.. وحيث تستقيم لك جادة الحق فلا تتردى فى ظلام الجهل أو ضباب الخطأ)..

وما أروع قوله: (فى الوديان قوم يرون أنك منهم بمنزلة أهل المرتفعات منك. أما فى الوادى المقدس فلا يتفاضل الناس إلا بقدر ما فيهم من خير، يسمو فيه المظلوم - وإن كان متواضعا - فوق الظالم، وإن بلغ السماء عظمة وشغل الناس بمجده وجبروته... ذلك أن الظالم لايستطيع أن يستمتع بأمن الوادى المقدس مادام ظالما). ومعنى هذا عنده أنك إذا رأيت نفسك فى قبضة شر لاتستطيع له ردا، وإذا اعتراك اليأس وبدأت تسأل عن معنى الحياة، وإذا غلبتك القوة القاهرة الكامنة فى النظم التى لاتستطيع تغييرها، إذا حل بك هذا الظلم فليس لك إلى النجاة من سبيل، إلا أن تأوى إلى واديك المقدس تلتمس فيه الخلاص من اليأس والقلق.

يقع الكتاب فى سبعة فصول:

الوادى المقدس – التطهر – التطهر عن طريق الدين – الهدى والضلال – الحقائق الأبدية – الحرمان – الضباب...

رحلة كبيرة للنفس تصفو فيها من أدرانها حين تشارف المنبع ثم تدانيه وتتطهر فيه.

والتطهر ارتفاع النفس عن الطباع الحيوية البحتة.

ولم يعرف الناس فى تاريخهم الطويل شيئا أقوى من الدين فى تطهير النفوس، وعن طريقه بلغت النفس الإنسانية أقصى ما بلغته من سمو.

ويشمل بحث الكاتب فى التطهر بالدين مباحث ثلاثة:

* مبحث فى طبيعة النفس الإنسانية.
* ومبحث فى القدرة الإلهية.
* ومبحث فى الإيمان من حيث هو الصلة بين الله والإنسان.

والطبيعة البشرية فى أول أمرها تكون غفلا غير ذات لون خاص. ثم تدب فيها روح الاستهداء وبذلك تصبح نفسا... حتى إذا اهتدت فعلا، كان لنا أن نسميها ضميرا.

وهو يرى أن النفس الإنسانية بفطرتها وطبيعة تكوينها تستهدى الخير... وأكثر الناس طيبون بطبعهم، يرتاحون إلى عمل الخير ويستشعرون سروراً عميقا حين يتاح لهم أن يعملوا عملا صالحا... ويدل على الخير الكامن فى النفوس أن يندم الناس على مايعملون من شر، وأكثرهم لايندمون إلا قليلا وإلى أمد قصير على خير عملوه ففاتهم نفع كانوا يرجونه على حين أنهم يندمون كثيرا على شر ارتكبوه كان لهم عنه مندوحة. وقد يفرحون به وقتا قصيرا ثم يذهب النفع ولا يبق إلا الندم.

قد تقول إن أعمال الناس لاتدل على أنهم بفطرتهم يستهدون الخير والواقع أن الآمال السيئة لاتدل دائما على سواء فى طبيعة فاعليها، أليس من طبع النار أن تضىء، ثم يحدث أن تكون مصدر دخان تظلم به الدنيا، وتختنق به الأنفاس، ولا يدل ذلك على طبعها... كذلك النفوس قد تكون طيبة بفطرتها ثم يعتريها ما يحجب عنا ضوءها ودفئها ويزيد فى دخانها.

ويتحدث الدكتور محمد كامل حسين عن «الإيمان» فيعرفه بأنه قوة كامنة فى النفس السوية ترجع إلى طبيعة تكوينها، وهو أصل الصلة بين الله والناس... ذلك أن النفس البشرية لامناص لها من أن تؤمن بشىء.. والذين لايؤمنون بشىء، أصلا قليلون وهم

المشوهون نفسا الذين يعرضهم إلحادهم إلى اضطراب نفسى عنيف... وعدم الإيمان مصدر أكثر الأمراض النفسية، وضعف الإيمان أكبر أسباب القلق النفسى.

ويتكلم فى هدوء اليقين وعمق الدارس عن خلاف المتدينين فلا يرى رأى القائلين أن الخلاف يزول إذا حملوا الناس على اعتناق دينهم كأنهم يريدون أن يكون العالم كله على دين واحد... ومن هنا كانت حماستهم فى التبشير.. ولم ينجح التبشير بالمسيحية نجاحا يذكر إلا فى البلاد الوثنية لحاجة الوثنيين الشديدة إلى الهداية. ولكن أهل الأديان الأخرى لم يؤثر فيهم التبشير كثيرا.

وظن غير هؤلاء أن التوفيق بين الأديان يتم عن طريق الفهم العقلى لما فى كل دين من تعاليم ومبادىء سامية. ولكن الفهم العقلى لعقيدة تخالف عقيدتك لايؤدى إلى الفهم الروحى والاطمئنان النفسى إلى هذه العقيدة فهذا أمر أعمق كثيرا من الفهم العقلى.

وظن آخرون أن التفاهم بين المتدينين يكون عن طريق التسامح. والأصل فى التسامح أن تستطيع الحياة مع قوم تعرف يقينا أنهم خاطئون.. كأنك تتجاهل عقائد الآخرين... والدين أعز على الناس وأشد أثرا فيهم من أن يكون تجاهله مؤديا للتفاهم الحق... وقد يكون التسامح على هذا النحو استخفافا منك بعقيدتك وهو حينذاك يكون شرا من التعصب بالنسبة إلى قدرتك على التطهر دينا... وقد يكون التسامح كرماً منك تجود به على من هم دونك إيمانا... هذا التسامح لايؤدى إلى تفاهم سطحى لايؤبه له ولا يدوم إلا قليلا.

أما نظرية الوادى المقدس فقد تؤدى إلى التفاهم المنشود... إذ هى لا تحملك على التساهل فى شىء من دينك... وهى كذلك لاتحملك على أن تحتقر عقيدة غيرك... وهى وحدها التى تعلم الناس أن **التدين يبدأ من نقطة واحدة هى النفس الإنسانية وينتهى إلى غاية واحدة هى الله**. وأن التطهر به يتم بعد ذلك على اختلاف طباع النفوس المتطهرة.

ومن أروع ما فى الكتاب حديث الدكتور محمد كامل حسين رحلة الأديان فى عملية تكامل... يقول:

المثل الأعلى عند المسلمين	النفس المطمئنة.
والمثل الأعلى عند المسيحيين	النفس المحبة.

والمثل الأعلى عند الموسويين النفس العادلة.
ولعل المثل الأعلى عند البوذيين النفس المتخلصة.

هذه المثل العليا تختلف اختلافا بينا، إلا أنها كلها تؤدى إلى الصحة النفسية إذا وافق المثل الأعلى ما رُكب فى نفس المؤمن به من طباع.

ولا تنفع تعاليم النفس المتخلصة فى تحقيق صحة نفس من مثلهم الأعلى العدل أو الحب. هذه الأمور لاتوائم النفس الساعية إلى التخلص، والنفس التى جبلت على إكبار العدل لاتستقيم صحتها على خير وجه إذا أرغمت على الأخذ بتعاليم النفس المحبة لأن هذه تضع الحب فوق العدل.

والنفس المطمئنة جماع ذلك كله... تطمئن إلى العدل إذا هذبت حواشيه وخففت من قسوته عاطفة الحب. والجمع بين العدل والحب يؤدى إلى الرحمة وهى عند المسلمين أرقى من العدل. وأقوى من الحب وأقرب إلى طباع أكثر الناس. وهى عندنا أعظم صفات الله.

والأديان المنزلة هبطت على الناس على هذا الترتيب حين أريد للإنسان أن يتصل بالله. فتعلم من الدين أول ما تعلم أن الله يثيب المحسن ويعذب المسيء، وهو حق إلهى لاشك فيه. ثم أنزل الله عليهم عاطفة الحب دعوة المسيح المحببة فتبينوا أن الله وإن كان يجزى الناس بأعمالهم إلا أنه يثيب كذلك على حب الناس إياه وحبهم بعضهم بعضا، ثم أنزل الله على الناس القرآن يجمع بين العدل والحب فى صفة واحدة هى الرحمة، ولم يكن للإنسان أن يدرك فى أول عهده بالدين كل هذه المعانى قبل أن يستقر كل معنى منها فى طبائع البشرية.

فاختلاف المثل العليا السماوية لايرجع إلى اختلاف فى هداية الله للناس ولكنه اختلاف فى قبول النفس الإنسانية للهداية وقدرتها على استيعاب كل معانى الخير.

ويتحدث الكاتب الطبيب عن الملل... وهنا يقول: قل أن تجد رجلا مؤمنا يصيبه الملل من كتبه المقدسة. وقليل منهم من يمل العبادات، وهم يكررون صنيعا واحدة فى دعائهم الله وفى صلاتهم له ولا يصيبهم من ذلك ملل... بل إن أثر الدعاء والصلاة فى نفس المؤمن يظل قويا أبدا رغم تكراره يوما بعد يوما... وهى ظاهرة لانراها فى غير الأمور النفسية العميقة.

ويحلل الملل بأنه ظاهرة تكاد تكون عامة فى الكائنات الحية وهو أوضح ما يكون فى الإنسان. وجوهر هذه الظاهرة أن القوة التى تعمل فى الكائن الحى تحدث فيه أثرا بعينه.. حتى إذا استمر عمل القوة نفسها على هذا الكائن ضعف أثرها فيه وإن ظلت على قوتها الأولى... فالصوت الذى يوقظ النائم فى أول الأمر يفقد هذه القدرة حين يتكرر كثيرا.

وأكثر رجال الاجتماع والسياسة يغفلون تقدير الملل فى الناس فيفسد بذلك حسابهم نتائج أعمالهم. فطن إلى ذلك لامارتين حيث قال إبان ثورة من ثورات بلاده: إن فرنسا أصابها الملل.

ومن أمتع ما فى الكتاب حديثه عن حرية الفكر فهو يرى الظلم نوعين: ظلم بالعسف وظلم بالحرمان.. وعنده أن حرية الفكر هى العامل الحرمانى الأول فى حياة الأمة... والحرية الفكرية هى الأمر الذى إذا حرِمه الناس شل نشاطهم مهما يكن الإنتاج المادى أو الفنى أو القوة التى يبلغونها... وهى لايمكن أن تكون عند كل فرد من الجماعات التى يصح أن نقول عنها إنها متمتعة بها... وإنما يكفى الجماعات أن يكون فيها بعض المفكرين الأحرار يتمتعون بحرية كاملة.

وحرية الفكر أيضا من الأمور التى لاتستطيع أية أمة أن تستعيض عنها بغيرها من الأمر، فالقوة والغنى والفتوحات لاتمنع الدولة من الانحطاط، إذا لم يكن فيها القدر الكافى من حرية الفكر، بل إنه يشاهد فى التاريخ القديم أن زوال بعض الدول إنما تم بعد فتوحات ضخمة، فإن ذلك دفع القائمين بالأمر فيها إلى الاستبداد وعند ذلك يبدأ الضعف المميت.

وأخيرا يقارن بين العقل والعين فى الرؤية وينتهى إلى أن الخطأ ليس فى الاحتكام إلى العقل ولكن الخطأ كل الخطأ أن نسرف فى الثقة به فنتعدى حدود طاقته ونحمّله ما لا قِبَل له به.

وقد يكون البسطاء أهدى من الأذكياء ويكون ذلك لأنهم يظلون فى الدائرة المنيرة التى يضيئها لهم عقلهم ولو كان نوره خافتا.

وإذا كان علمنا بالماضى ناقصا حتما، وإذا كانت قدرتنا على الإحاطة بأسباب الأحداث الماضية ناقصة حتما.. وإذا كان تصورنا للماضى يختلف باختلاف تفكير كل منا وسابق خبرته، فكيف يستطيع أحد أن يطمئن إلى صواب تقديره للمستقبل وهو لايعرفه إلا قياساً على معرفته بالماضى وهى ناقصة من غير شك.

ويصف الضباب فى الحياة ومما ينجم عنه... أقصد الضباب المعنوى، بقوله: يبدأ الناس حياتهم الدنيا وهم فى طريق واضحة مشرقة مستقيمة... ثم يغريهم ما يرون على جانب الطريق من أشجار عالية يرونها مثقلة بالثمار... يرون ذلك من خلال الضباب فيخرجون عن طريقهم تدفعهم إلى ذلك رغبتهم فى الاستزادة من المعرفة بها والاستمتاع بخيرها... حتى إذا جاءوها لم يجدوا فيها ما كانوا يؤملون... ويحاولون العودة إلى الطريق المستقيم والوادى المقدس وأكثرهم يضلون عنه.

وهم يعيدون بذلك خطيئة آدم... وهى خطيئة لايكاد ينجو منها أحد من أبنائه منذ خلق الله الأرض ومن عليها.

* * *

ما أروع التقاء الفن بالعلم فى : كتاب

وفى كيان إنسان

كتاب

أيها الولد

تأليف حجة الإسلام
محمد بن محمد أبى حامد الغزالى

أيها الولد

ألف هذا الكتاب حجة الإسلام محمد بن محمد أبى حامد الغزالى ٤٥٠-٥٠٥هـ. رسالة حققها الأستاذ على محيى الدين القره داغى.

كتب الإمام الغزالى هذه الرسالة إلى تلميذه. وفى كلمة «أيها الولد» **دالة الأستاذ على التلميذ** هذه الرسالة كتبها على هدى الإسلام واستمدها من تراثه فى التربية واستجمع فيها تجربته الذاتية فى التحصيل والاستزادة والاستفادة والإفادة.

يدعو الإمام الغزالى إلى دراسة ألوان العلوم يقول: (إنه لابد من فهم ومعرفة علوم الحساب والهندسة وهيئة العالم، والعلوم تتعلق بالكواكب والأجسام المفردة كالماء والهواء... والأجسام المركبة كالحيوان والمعادن وأسباب تغيرها بل جعل علماء الإسلام كل علم تحتاج إليه الأمة حجة عامة كالطب والصناعة والزراعة... من فروض الكفاية استنادا إلى آيات وأحاديث تدل على ذلك.

إنها تعبير عن موقف الإسلام من العلم... موقف حضارى واع

وقد نصح الإمام الغزالى بهذه النصائح الثمانى:

* أن لاتناظر أحداً، ففى المناظرة آفات كثيرة فهى منبع كل خلق ذميم لكن تجوز إذا أردت إظهار الحق وذلك بأن لاتفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك، أو على لسان غيرك.

* الحذر من الوعظ بدون العمل. وإذا وعظت فاحترز عن التكلف، وثناء الناس عليك.

* أن لا تخالط الأمراء والسلاطين.

* أن لاتقبل شيئا من عطاياهم، لأن الطمع منهم يفسد الدين لأنه يتولد عنه المداهنة.

* أن لاتجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنة.

* العطايا والهدايا من الحكام الظلمة تورث محبتهم... ومن أحب أحدا يحب طول عمره وبقاءه بالضرورة... وفي محبة الظالم إرادة في الظلم على عباد الله تعالى، وإرادة خراب العالم... وأى مصيبة أضر من هذا على العاقبة والدين؟ وإياك أن يخدعك استهواء الشياطين بأن تأخذ من الظالم، الدينار والدرهم بحجة أن إنفاقها في سبيل الله خير من إنفاق الظالم في اللهو فإن اللعين – أى الشيطان – قد قطع أعناق الكثير بهذه الوسوسة.

ومدرسة الإسلام فى التربية والتعليم يمثلها خطاب الله لرسوله عليه السلام: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين).

إذاً هى الرحمة واللين والسماحة وبشاشة الوجه ولطف الجانب والشورى واحترام الناس.

قال رسول الله عليه السلام لأبى موسى ومعاذ عندما بعثهما إلى اليمن: (يسرا ولاتعسرا وعلما ولا تنفرا) رواه البخارى فى صحيحه.

وقال عليه السلام (علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف) رواه الطيالسى فى مسنده.

وحين تحدث الإمام الغزالى عن آداب المتعلم نص على طهارة الباطن بتنقية النفس من الأخلاق الرذيلة والأوصاف المذمومة لأن العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربى إلى الله تعالى.

وطهارة الباطن هى الأدب الأول.

أما الأدب الثانى فهو التفرغ للعلم فالعلم كما قيل لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك.

الأدب الثالث، أدب التلميذ مع شيخه وأستاذه.

فالعلم لايدرك إلا بالتواضع مع العلماء، فعلى طالب العلم أن يكون مؤدبا وقورا مع أستاذه لايتعدى حرمة مجلسه، وينظر إليه نظرة احترم وإجلال وأن يلقى إليه زمام أمر التعليم كله ويذعن لنصيحته ويقوم بخدمته بقدر ما يستطيع.

قال الإمام على كرم الله وجهه (من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة، وتخصة بالتحية، وأن تجلس أمامه ولا تشيرن عنده بيديك، ولاتعمد بعينيك غيره.. وإن كانت له حاجة، سبقت القوم إلى خدمته، ولا تشبع من طول صحبته).

ثم يضيف (إن من حق العالم أن لاتكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته فى الجواب، ولاتلح عليه إذا كسل، ولاتأخذ بثوبه إذا نهض، ولاتفشى له سرا، ولا تغتابن أحدا عنده، ولاتطلبن عثرته. وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى).

وقد فصل هذا أكثر الأمام الغزالى فى كتابه «إحياء علوم الدين».

ومن الأدب أن يصون طلب العلم نفسه عن التلهى بغير الدرس، ويحفظ يديه عن لعبث، والتشبيك بهما، وعينيه عن كثير التقليب إلى هنا وهناك، وأن يتقى المزاح وكثرة الضحك... قال الشافعى رحمه الله (كنت أصفح الورقة بين يدى مالك صفحا رقيقا هيبة له لئلا يسمع وقعها).

ومن ألوان الأدب التى وقفت عندها فى هذا الكتاب قول الإمام الغزالى **بعدم الاقتصار على علم واحد** وهو ما تفعله الآن الدول المتقدمة.. ففيها الآن مزواجة بين «العلمى» و «الأدبى» وفيها **ثنائية التخصص**.

يقول الإمام الغزالى (يأخذ من كل شىء أحسنه، لكنه يتخصص فى العلم الميسور لديه والمجند عنده).

وحين يركز الإمام الغزالى على «التلميذ» والتلميذ مهم جدا، يأسر النفس أن يتضمن تراثنا آداب العالم أو «الأستاذ».

الأول: أدبه مع نفسه وعلمه مع مراقبة الله تعالى... وأن يكون طليق الوجه حليما نزيها... مجتنبا كل الاجتناب والحقد والحسد والرياء والإعجاب بالنفس واحتقار الناس وإن كانوا دونه بدرجات وينبغى أن يحافظ على مظهره الخارجى فيكون نظيفا طيب الرائحة... ومهتما بتسريح شعر رأسه ولحيته، ويلبس أحسن ثيابه فقد قال عليه السلام «إن الله جميل يحب الجمال».

ومما هو ضرورى للعالم **أن لا يذل العلم** ولايذهب به إلى المتعلم مهما كان كبيرا إلا للضرورة، فإن الشعار الذى أطلقه السلف الصالح هو «العلم يؤتى إليه ولا يأتى إلى أحد».

الثانى: أدبه فى درسه واشتغاله.

فينبغى للعالم أن لا يغفل عن العلم والاستذكار والاستحضار فيبقى مجتهدا مشتغلا بالعلم قراءة وإقراء، ومطالعة، وتعليقا ومباحثة وتحقيقا وتصنيفا ولا يألو جهدا فى المزيد من المعلومات والتعمق فى العلوم.

الثالث: أدبه مع تلاميذه.

وذلك بأن يضعهم موضع أولاده... ولابد للعالم أن لايفرق بين أولاد الفقير والغنى.

الأدب الرابع: عدم أخذ الأجر على الدرس مع جواز هذا

ومن الآداب الجليلة: **الأدب مع الكتب**

فلابد للعالم أن يعتنى بالكتاب ويحاول أن يجمع من كل فن مايحتاج إليه، ولاسيما المصادر الهامة الأصيلة فيشترى، ويستعير وينسخ بيده كل ما يحتاج إليه فسلاح العالم، كتبه وروضته مكتبته.

وهكذا أرسى تراثنا أدب العلم للطالب والأستاذ استجابة حميمة لاحتفال الإسلام بالعلم واحتفاء المجتمع بالقيمة... وليس قيمة أكبر من دارس وعالم وكاتب وكتاب.

كتاب

كسوة الكعبة المشرفة

تأليف

إبراهيم حلمى

كسوة الكعبة المشرفة

خروجا مؤقتا عن السلسلة التى أقدمها من عيون الكتب، تفرض المناسبة الدينية التى يطوف فيها المسلمون ساعين من مشارق الأرض ومغاربها، بالبيت الحرام، الوقوف أمام موضوع كسوة الكعبة المشرفة، الذى يرتبط به الوجدان الإسلامى والقلب المسلم ارتباطا يسكن إليه ويتيامن به.

ألف هذا الكتاب الأستاذ ابراهيم حلمى فى احتفاء به، واحتفال بتفاصيله واحتشاد له فهو يتكلم عن مكونات كسوة الكعبة المشرفة وفنون زركشتها وتاريخ هذه الكسوة بدءا من الجاهلية حتى العصر الحديث، والديار التى تخصصت فى صنعها وأشهر الفنانين الذين قاموا بصنعها فى مختلف العصور.

يتكلم عن فنون المحامل العربية وقوافل الحج من البلاد الإسلامية.. عن تقليديات المحمل المصرى والتى تفرد، بها، على مسار العصور.

يتكلم عن المحمل الرجبى وفنون الرماحة.. عن العادات والمعتقدات الشعبية فى موكب المحمل المصرى...

يتكلم عن فنون الأغانى والموسيقى الشعبية فى موكب قوافل الحج.

عن مكونات كسوة الكعبة المشرفة من واقع آخر وثيقة مصرية كتبت وحررت كإشهاد شرعى لكسوة الكعبة الشريفة فى عام ١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦١م، نجدها تتكون من: (نلاحظ حب مصر للكتابة والتسجيل والتوثيق والتاريخ).

١– ثمانية أحزمة وأربعة كردشيات (زخارف كتابية فى شكل دائرى فى تكوينة خاصة) مزركشة جميعها بالمخيش (وهو نوع من الخيوط السلكية الرفيعة التى تم سحبها من الفضة أو المكفتة بالذهب) – الذهب البندقى عيار ٩٩ وهو أنقى أنواع الذهب.. وهذا كله على حرير أطلس أسود وأخضر ومحلاة بأشرطة من النوار القطن الأبيض وتتكون الكسوة من اثنين وخمسين ثوبا يحتوى كل ثوب على ١٤ر٨٠ مترا فى الطول فى عرض ٠ر٩٣ مترا.

٢– ستارة باب بيت الله الحرام وتسمى البرقع وهى مزركشة أيضا بالمخيش بنوعيه على حرير أطلس أسود وأخضر وأحمر ومبطنة بالأطلس الحرير الأصفر.. وبها ثلاثة شرابات بضم الشين كبيرة من الحريرالأسود والقصب والمخيش مزركشة بالذهب والفضة.

٣– ستارة باب سطح بيت الله الحرام بالأسلوب نفسه.

٤– كيس مفتاح الكعبة المشرفة وهو من الأطلس الأخضر الحرير ومزركش بأسلاك الفضه والذهب وله شرابتان من القصب الفضة وثلاثة أحبال قطن مجدول تعرف بالمجاديل وواحد وأربعون حبلا من القطن تعرف بالعصافير.. وهذه الأحبال لتعليق الكسوة الشريفة على الكعبة المطهرة.

أقول ومن الطريف أن مصر ترسل أقتين من الحرير الطبيعى الأسود المفتول لإصلاح ما يلزم فى الكسوة المشرفة خلال عام إرسالها.

ويبلغ مقدار أسلاك الذهب والفضة التى تدخل فى زركشة الكسوة الشريفة ١٢٩٥٩ مثقالا من الفضة النقية ومايخالطها من الذهب البندقى (المثقال ٤ر٣٥ جرام) أقول أى ٩١٥٥٦ جراما (واحد وتسعين ألف جرام وخمسمائة وست وخمسين جراما) فإذا كان متوسط سعر الجرام عيار ٢٤ ثلاثين جنيها مصرياً فإن الزركشة المصرية لكسوة الكعبة تبلغ ٢ر٧٤٦ر٦٨٠ جنيها مليونين وسبعمائة ست وأربعين الف، وستمائة وثمانين جنيها).

ومن المدن المصرية التى برعت فى إبداع الكسوة الشريفة (**تنيس**) إحدى مدن دمياط ومدينة (**تونه**) وبالطبع **القاهرة والإسكندرية** وقد كسيت الكعبة بقباطى مصر ذى الزخرفة المميزة فى عهد الرسول عليه السلام وفى عهود خلفائه رضى الله عنهم: أبى بكر وعمر وعثمان.

وحين كتبت مصر القصة الشعبية (سيف بن ذى يزن) وشّى خيالها الكسوة على طريقتها على تزيينها مدلة بالفرق الحضارى بينها وبين الملك اليمنى ذى يزن فهو فى البداية جهز كسوة من الثياب الغليظة ثم استبدلها بالحرير.. ثم وشّى الحرير بالذهب والفضة على ثلاث مراحل بناء على رفض الهاتف فى المنام وحمله على الارتفاع بمستوى الكسوة حتى حين جعلها من الحرير، قال له الهاتف: (اكس البيت غير ذلك) فزركشها بالفضة والذهب.. ولا أحسب الهاتف إلا القصاص المصرى الشعبى الذى يحب الفخفخة والدندشة...

إنها أناقة مصر.. والرّفه الحضارى.

ونقل المقريزى عن الفاكهى صاحب كتاب (أخبار مكه) قوله: (رأيت كسوة من قباطى مصر مكتوبا عليها: بسم الله .. بركة من الله). وظل خلفاء بنى العباس يحرصون على كسوة الكعبة من قباطى مصر.

وقد رفع المماليك وظيفة من يشرف على كسوة الكعبة إلى مرتبة الوزارة.. ومن الطريف أن السلطان الظاهر برقوق ضرب كما يقول «ابن إياس»، الاستادار (وظيفة المشرف على كسوة الكعبة أى القبة) - جمال الدين محمود «علقة صعبة» بسبب تأخر الكسوة فى عام ٧٩٧ هجريه عن موعدها.

ويحكى الجبرتى عن أحداث ١٢١٣هـ أن كسوة الكعبة انتقل صنعها من القلعة إلى دار أكبر اسم فى القاهرة وهو حاكمها أو محافظها أو ما يسمى «الكتخدا».

وكانت الدور التى تشرف ويشرف أهلها بعمل كسوة الكعبة علامة يقف عندها مؤرخونا كما فعل المقريزى وعلى باشا مبارك فضلا عن الجبرتى. بل تحدث عبد الرحمن الرافعى عن دار كسوة الكعبة الشريفة بالخرنفش ومحتوياتها من آلات الصناعة والغزل بل آلات السباكة والخراطة والتجارة لإصلاح الآلات التى يصيبها العطب.

أقول إن الوجدان المسلم ليختلج من التأثر حين يقرأ ويعرف أن صناع الكسوة المشرفة وعمال زركشتها من تقاليدهم المرعية أنهم لا يقومون بالعمل فيها إلا إذا **كانوا جميعا فى تمام الوضوء.**

وفى بداية عملهم اليومى يقومون بترديد جماعى لفاتحة القرآن الكريم، بصوت جهورى يرج، ليس فقط أرجاء دار الكسوة الشريفة وحدها بل أرجاء شارع الخرنفش كله

من أوله إلى آخره ثم يطلقون من حولهم البخور، وبعد ذلك يرددون الآية القرآنية الكريمة (بسم الله الرحمن الرحيم. إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما).

إنه عمق الوجدان الدينى فى القلب المصرى... إنها إطلالة روحية من وادى الدين ووادى النيل.

أما المحمل فقد درجت الدول الإسلامية على أن ترسل كل منها محملا. وهنا كثرت المنازعات بينها بسبب التنافس فى هذا المضمار الذى كان يجب أن يجمعهم ولايفرقهم. ومن الطريف قول المؤلف:

(فاق المحمل المصرى كل أمثاله من محامل الدول العربية أو الإسلامية فاقهم فى تجهيزه وإعداده ونظامه واحتفالاته، وعاداته وتقاليده ومعتقداته **وفاقهم حتى فى اختلافاته ونزاعاته)**.

وقد امتاز المحمل المصرى بالنظام الدقيق فى تكوينه وفى مسيره فكل فرد له عمل محدد يلتزم به فى دقة بالغة. ومن وظائف المحمل المصرى:

١- **أمير الحاج** وهو المسئول الأول عن قافلة الحجاج ورأس الأمر فيها.

٢- **دوادار أمير الحاج** أو كاتب المهمات ومنظم سير ركب المحمل.

٣- **قاضى المحمل** ويعينه قاضى القضاة من بين قضاة المذاهب الأربعة وكان قاضى المحمل له جمل خاص به وله قفطان خاص يلبسه يوم خروج المحمل من القاهرة. وكان له فى كل مساء أربع فطائر وجرايتان من البقسماط كل جراية ستة عشر رطلا غير السكر المكرر أو الحلوى..

أقول: ترى ماذا يقصد المؤلف بالبقسماط؟

ثانيا هذا الطعام كثير إما أن يكون القاضى من الوزن الثقيل وإما أن يكون القاضى من الكرماء يوزع هذا كله على من حوله.

ولم يلبث أن ساء أمر هذه الوظيفة كما يقول المؤلف إذ طمع فيها كل ذى شأن صغير فتردى أمرها وساءت أحكام متوليها الذين كان كل غرضهم الحصول على الأموال فألغيت وأسند الفصل فى المنازعات إلى أمير الحج.

٤- **شهود المحمل** كان يختار اثنان من أهل الخبرة والعدالة -وليس من أهل الثقة .

٥- **مشرف جمال وخيول المحمل.**

٦- **مشرف التموين للمحمل.**

٧- **مشرف المطبخ للمحمل.**

٨- **مشرف السقائين.**

٩- **منظم سير المحمل.**

١٠- **المقدمون على جمال المحمل.**

١١- **مقدم الضوئية والغشامة** أى حملة المشاعل.

١٢- **مقدم الهجانة.**

١٣- **مقدمو القواسة.**

١٤- **صبى الباب.**

١٥- **الميقاتى والمؤذن.**

١٦- **طبيب المحمل** أو الجراح.

١٧- **مهتار الطشت خانه**، اختصاصه إحضار الماء للوضوء وغسل الأيدى.

١٨- **مهتار الشراب خانه**، وهو من يتولى أمر المشروب وأدواته من الفضة والصينى **والنحاس.**

وقد تفرع من هذه الوظيفة وظيفة أخرى فى العصر العثمانى، وهى وظيفة (الأظلم باشا) وهو الموظف الذى عليه أن يسير أمام ركب المحمل ومعه المرطبات للأمير والحجاج.. وظيفة متواضعة ولكن الطبع التركى منحها الباشوية.

ومن الطريف أنه كان يسير فى موكب مكون من ستين مملوكا ومن ثلاث قطع من المدفعية ويصحب فى موكبه فرقة موسيقية يحملها اثنا عشر جملا وتشتمل على عدة طبول أو صناديق من أحجام مختلفة وبوقين أو نفيرين ودُفين ومزمارين.

ومن الأطرف أنه فى أواخر العصر العثمانى كان (الأظلم باشا) يحصل على ولاية الشرقية عقب رجوعه من رحلته باعتبار ذلك حقا قانونيا له!!!... وأتذكر نكتة القلل...

١٩- **مهتار الفراشخانة** ومهمته تدبير الخيام اللازم...

٢٠- **الطباخون.**

٢١- **الزردكاش:** ويلقب فى اللغة التركية (جيجى باشا) وهو القائم على مهمات السلاح.

٢٢- **النفطى:** وهو البارورى الذى يتولى الصواريخ وغيرها من لزوم الاحتفال والابتهاج عند الوداع والرحيل.

٢٣- **مهتار الركاب خانة:** وهو قائد السياس ولوازم الخيل.

٢٤- **الشعراء.**

٢٥- **الطبول خانة:** وكانت تلازم العلم السلطانى.

٢٦- **البيطار:** أى طبيب بيطرى.

٢٧- **الخباز.**

٢٨- **الكيالون** لتشوين غلال المحمل.

٢٩- **نجار المطبخ.**

٣٠- **نجار الكور.**

٣١- **خولى الأغنام.**

٣٢- **الجزار:** وكان يسمى (الزفورى) فى عهد سلاطين المماليك.

٣٣- **السعاة أو الأولاء.**

٣٤- **المبشرون بالدار** وهم جماعة متعددة من المتصوفة وأهل الصلاح.

٣٥- **المبيت:** ومهمته الطواف على القافلة ليلاً مع العسس.

٣٦- **مبشر الحجاج** كانت مهمته التبليغ عن أحوال الحجاج أو أحوال الأمراء بالحجاز وعند العودة يسرع بإعلان نبأ الوصول وما أكثر الهبات التى تغمره.

لم تنس مصر كعادتها حين تقصد الإحكام والدقة الدقيقة.

ويبدو أن المؤلف كان مبهورا – ومعه حق – بهذا النظام أو التنظيم حتى أنه بدأ يعيد الوصف بعد سبع عشرة صفحة.

ولم ينجح من البهر ابن بطوطه، أثناء مروره بمصر سنة ٧٢٤هـ أى سنة ١٣٢٥م لأداء فريضة الحج.

وكانت الفرجة على المحمل المصرى فى العصر المملوكى متعة يهرع إليها أفواج الناس وخاصة النساء اللائى كن يبتن بالحوانيت حتى ينظرن المحمل فى اليوم التالى.

لقد كان يوم خروج المحمل يوما مشهودا كما يقول ابن إياس تخرج أمامه الأفيال الكبار وهى مزينة بللبوس وعلى ظهورهم الصناجق وقدامهم الطبول والزمور. كما يخرج فى موكب المحمل القضاة الأربعة وقضاة مكة الذين يحضرون إلى القاهرة ومعهم أمير مكة لهذه المناسبة.

واهتم المقريزى بوصف كسوة المحمل كما اهتم الجبرتى به، من بعد.

وكان هناك فى العصر المملوكى ما يسمى **عفاريت المحمل**... وهم فى الأصل كانوا ممثلين يخرجون فى احتفالات المحمل يؤدون أدوارهم أمام الناس ويخرج معهم مصارعون يسمون (البلياتشو) أو ما نسميه الآن السيرك ومنهم من يسير على أرجل خشبيه ترتفع إلى ثلاثة أمتار تقريبا ويسدل عليهم معطف طويل ويلطخون وجوههم بالمساحيق وكان منظرهم يثير ضحك الناس.. نعمة حب المصريين للضحك. إنه أقصد إنها الفكاهة المصرية التى تغسل بحرا من الآلام.

وفى فصل (العادات والمعتقدات الشعبية) يقول المؤلف (كان من عادات الأهالى إحضارهم أولادهم الرضع، ليروا المحمل فيبارك لهم فى ذريتهم).

ومن الغريب أن المؤلف يعتبر هذه الظاهرة، عادة ذميمة!!

هذه الصورة التى أعتبرها المؤلف عادة ذميمة، مست قلبى..

إنها نبضة صدق من شعب حضارته دينية حتى قبل الأديان..

دلالة هذا عمق الإحساس الدينى عن الشعب المصرى.

المسألة ليست فرجة فالأطفال الرضع لاتمثل الفرجة على المحمل شيئا عندهم، ولكنها تمثل كثيرا عند الآباء والأمهات.

إن الذى يبارك طفله بحضور موكب المحمل صادق لاشبهة فى سلوكه من نفاق أورياء كذلك الذى يصلى جهرة رئاء الناس أو يجح ليتاجر بالحجة ويحمل لقب حاج.. هذا مع إقرارى بأن الملايين يؤدون الفريضة عن عقيدة.

والمصريون يعرفون هذا ويتندرون على أصحابه بل تندروا على أمير الحج نفسه ففى ص ١٩٢ – من هذا الكتاب، أمير حج عرف بالظلم فاستقبله المصريون عند عودته – وكان اسم الأتباكى قيت الرجبى – بقولهم:

حججت البيت ليتك لاتحج

فظلمك قد فشى فى الناس ضج

حججت وكان فوقك حمل ذنب

رجعت وفوق ذاك الحمل خُرج

إنها سخرية مصر تدمغ بها ظالميها.

وقد روى الدكتور أحمد أمين أن جمل المحمل كان اختياره يتم بعناية فائقة فهو من النوع الهادىء غير المشاكس. ومن الطريف أنه كان يطلق عليه أحيانا اسم (الشيخ سيد) أو اسم (مبروك) أو اسم (نبيل) وكان جمل المحمل من نوع الجمال ذات المزاج الخاص فقد كان (يشرب دخان المعسل) عن طريق أن يشرب راعيه ويشد أنفاس الدخان بفمه، ثم ينفخها فى أنف الجمل.. جمل المحمل فيستطيب له الحال! والشعب المصرى من صفات المدح عنده قوله عمن يرضى عنه (جمل المحامل).

ومن طرائف جمل المحمل أنه له موظفا خاصا ومساعدا لهذا الموظف... وكان هذا المساعد يقوم بتمشيط الجمل يوميا وتنشيطه بالمشى من دار الكسوة بالخرنفش إلى ميدان سيدنا الحسين ثم العودة. وكان حينما يقف بالجمل أمام المشهد الحسينى تقبل عليه النساء العقيمات وتمر الواحدة تحت بطن جمل المحمل طمعا فى نيل البركة والإنجاب.

ومن الطرائف أن موكب المحمل كان يُعين به رجل يسمى (أبو القطط)، وكان هذا الرجل يقوم بغذاء القطط التى كانت تتبع ركب المحمل مدة سفره فى البر.. وله مرتب.. حتى قطط ركب المحمل لم تنسها مصر.

وقد استلفت هذا نظر ادوارد وليم لين فوقف عنده بالوصف فى كتابه الشهير (المصريون المحدثون – عاداتهم وتقاليدهم).

ومن الطرائف أن الحكومة المصرية عند عودة المحمل من الحج، ترسل جملا **فداء عن جمل المحمل.**

وكان المحمل يزف فى مصر ومكه بالأغانى والأناشيد ولكن المصريين كان غناؤهم للمحمل ينبع من النيل مثل قولهم:

ما فردت قلوعها	∴	**مركب المصطفى**
ما فردت قلوعها	∴	**يا نهار الهنا**
نهار رجوعها	∴	**بعد زيارة النبى**

وقد ضمنت كتابى فى النيل أغانى الحج التى تلمحه استقاء من مجموعة اليونسكو.

وكان أهل «جدة» خاصة يطربون لأغانى المصريين عند مرور المحمل المصرى بجده ويتحلقون حوله لمشاهدته وسماع الموسيقى والأغانى المصرية عن المحمل، والمزمار البلدى حتى غروب الشمس.

لقد جمع هذا الكتاب كل ما يتعلق بموضوعه فكيف فاته قصيدة شاعرنا شوقى (إلى عرفات) التى زادها شهرة وذيوعا وتألقا ترنم أم كلثوم بها؟

كما فاته فى خضم المراجع الكثيرة أو لعله نسى كتاب (حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة) للسيوطى، حين ذكر فى الجزء الثانى قصة الريح العاصفة التى ألقت ستارة الكعبة المشرفة فاعتبر الناس الحادث نذير أفول دولة العباسيين. وقد أعقب هذا غزو التتار الذى اجتاح بغداد لولا أن مصر استقدمت الخليفة العباسى إلى القاهرة كما آوى إليها العلماء.

ولكن يبقى بعد هذا أن الكتاب وثائقى وطريف فى الوقت نفسه!

كتاب
تجديد التفكير الدينى فى الإسلام
تأليف
إبراهيم حلمى

تجديد التفكير الدينى فى الإسلام

كتاب ألفه فيلسوف باكستان محمد إقبال

وترجمه الأستاذ عباس محمود وراجعه الأستاذ عبدالعزيز المراغى والدكتور مهدى علام... ويقع فى ستة أقسام على امتداد ٢٢٧ صفحة من الحجم الكبير...

١ – المعرفة والرياضة البدنية.

٢ – البرهان الفلسفى على ظهور التجربة الدينية.

٣ – الألوهية ومعنى الصلاة.

٤ – روح الثقافة الإسلامية.

٥ – مبدأ الحركة فى بناء الإسلام.

٦ – هل الدين أمر ممكن؟

يصف محمد إقبال «الإيمان» بأنه (كالطائر يعرف طريقه الخالى من المعالم غير مسترشد بالعقل. وفى هذا يقول شاعر الإسلام الصوفى العظيم- لم يصرح باسمه ولعله يقصد جلال الدين الرومى – «العقل يترصد القلب قلب الإنسان النابض ويحرمه ذلك الزخر من الحياة الكامنة فيه». على أننا لا نستطيع أن ننكر أن الإيمان أمر أكثر من مجرد الشعور، فهو فى حقيقته يشبه رضا النفس عن علم ومعرفة).

وهو يرى الفكر... والبداهة متكاملين لا متضادين فهما ينبعان من أصل واحد فأحدهما يدرك الحقيقة جزءا جزءا، والآخر يدركها فى جملتها... أحدهما يركز على ما

فيها من خلود والثانى نحو ما فيها من حدوث ويستشهد بقول «بركسون» «إن البداهة ليست إلا ضربا عاليا من التفكير».

وعند إقبال أن الفلسفة اليونانية مع أنها وسعت آفاق النظر العقلى عند مفكرى الإسلام إلا أنها غشت على أبصارهم فى فهم القرآن... فمثلا سقراط كان يقصر همه على عالم الإنسان وحده فمعرفة الإنسان معرفة حقة تكون بالنظر فى الإنسان نفسه بينما القرآن الكريم يأمرنا بالنظر فى أنفسنا وفى الآفاق. فعالم النبات والحيوان... والسماء والنجوم... والأرض والبحار والجبال والنمل والنحل... والشمس وضحاها والقمر... والليل والنهار وتصريف الرياح وكل ما دب على الأرض أو حلق فى الفضاء... كلها موضوعات لتأمل الإنسان وبحثه بينما قدح أفلاطون – وفيا لتعاليم أستاذه سقراط – فى الإدراك الحسى لأن الحس فى رأيه يفيد الظن ولا يفيد اليقين... وما أبعد هذا عن تعاليم القرآن الذى يعد العقل والسمع والبصر أجل نعم الله تعالى على عباده.

وناقش إقبال آراء الغزالى وابن رشد والأشاعرة والمعتزلة.

وقد استشعر إقبال محنة الاختيار التى يقع فيها الشرقى بين حضارته وحضارة الآخرين التى تجسمت فى الوقت الحاضر. وعنده أن أبرز ظاهرة فى التاريخ الحديث هى السرعة الكبيرة التى ينزع بها المسلمون فى حياتهم الروحية نحو الغرب. ولا غبار عنده على هذا المنزع فإن الثقافة الأوربية فى جانبها العقلى ليست إلا ازدهارا لبعض الجوانب الهامة فى ثقافة الإسلام... ويقول إقبال (كل الذى نخشاه هو أن المظهر الخارجى البراق للثقافة الأوربية قد يشل تقدمنا فنعجز عن بلوغ كنهها وحقيقتها. وكانت أوربا خلال جميع القرون التى أصبنا فيها بجمود الحركة الفكرية، تدأب فى بحث المشكلات الكبرى التى عنى بها فلاسفة الإسلام وعلماؤه عناية عظمى... فلاعجب إذاً أن نجد شباب المسلمين فى آسيا وفى إفريقية يتطلبون توجيها جديدا بعقيدتهم... ولهذا:

لابد من أن يصاحب يقظة الإسلام تمحيص بروح مستقلة لنتائج الفكر الأوربى).

ويرى «إقبال» الهدف الرئيسى للقرآن الكريم هو أن يوقظ فى نفس الإنسان شعورا أسمى بما بينه وبين الخالق وبينه وبين الكون من علاقات متعددة... ومن هنا يقول «جيته» لا كرمان – وكان «جيته» يرى فى الإسلام قوة ذات قدرة، لاتجارى ولا تبارى، على الإصلاح (أنت ترى أن هذا التعليم لا يخفق أبدا، ونحن بكل ما لنا من نظم لا نستطيع، بل أقول بوجه عام، إن أحدا من البشر لا يستطيع أن يذهب أبعد من هذا).

ولإقبال رأى فى الإنسان... فهو مع أن نصيبه فى الوجود شاق، وحياته كورقة الورد، إلا أن الروح الإنسانية ليس لها نظير بين جميع الحقائق فى قوتها، وفى إلهامها، وفى جمالها... ولهذا فإن الإنسان فى صميم كيانه هو كما صوره القرآن، قوة مبدعة وروح متصاعدة تسمو فى سيرها قدما من حالة وجودية إلى حالة أخرى..

(فلا أقسم بالشفق. والليل وما وسق. والقمر إذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق). سورة الانشقاق الآيات ١٦ - ١٩.

ويطرح فيلسوف باكستان سؤالا، هو:

(ما الطريقة التى تبدأ بها قوة الله الخلاقة فى الخلق؟)

وهنا يؤثر مذهب الأشاعرة الذى يعتبره أسلم مذهب فى علم الكلام عند المسلمين... هؤلاء الأشاعرة يذهبون إلى أن الله تعالى بدأ بخلق الجوهر الفرد أو الجزء الذى لايتجزأ... ويرجح إقبال أنهم أقاموا رأيهم هذا على الآية الكريمة (وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) سورة الحجر آية ٢١.

ويرى «إقبال» أن نشوء الكلام فى الجزء الذى لا يتجزأ بين المسلمين ونموه - وهو أول دليل على التمرد العقلى على مذهب ارسطو القائل بعالم ثابت، يسجل فصلا من أهم الفصول فى تاريخ الفكر الإسلامى.

وهنا تجب الوقفة عند رأى الأشاعرة.

يقول الأشاعرة إن العالم يتألف من أشياء اصطلحوا على تسميتها بالجواهر. وهى أجزاء متناهية فى الصغر بحيث لا تقبل التجزؤ والانقسام وبما أن خلق الله للحوادث مستمر غير منقطع، فإن عدد الجواهر لا يمكن أن يكون متناهيا... ففى كل لحظة يخلق فى الوجود جواهر جديدة وهكذا يصبح العالم فى نمو مستمر كما جاء فى الكتاب الكريم (يزيد فى الخلق ما يشاء) فاطر الآية ١.

ويقارن «إقبال» مقارنة تفصيلية شيقة بين قصة آدم فى العهد القديم وبين القصة فى القرآن الكريم. فحين لعن العهد القديم الأرض لعصيان آدم، جعلها القرآن الكريم مستقرا ومتاعا للإنسان ينبغى أن يشكر الله عليه (ولقد مكناكم فى الأرض، وجعلنا لكم فيها معايش، قليلا ما تشكرون) الأعراف آية ١٠.

وطبقا للقرآن ليس الإنسان غريبا عن هذه الأرض إذ يقول : (والله أنبتكم من الأرض نباتا) سورة نوح آية ١٧ .

والجنة فى القرآن الكريم (لا لغو فيها ولا تأثيم) وفى مقام آخر يصفها بقوله (لايمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) سورة الحجر آية ٤٨ .

ومن أروع ما جاء فى كتاب (تجديد التفكير الدينى فى الإسلام)، القسم الخامس (روح الثقافة الإسلامية) .

يستهل هذا القسم على النسق التالى:

«صعد محمد النبى العربى إلى السموات العلا ثم رجع إلى الأرض قسما بربى! لو أنى بلغت هذا المقام لما عدت أبدا» .

هذه كلمات لولى مسلم عظيم هو عبدالقدوس الجنجوهى. ولعله من العسير أن نجد فى الأدب الصوفى كله ما يفصح فى عبارة واحدة عن مثل هذا الإدراك العميق للفرق السيكولوجى بين الوعى النبوى والوعى الصوفى... فالصوفى لا يريد العود من «مقام الشهود» وحتى حين يرجع منه – ولا بد له أن يفعل – فإن رجعته لا تعنى الشىء الكثير بالنسبة للبشر بصفة عامة. أما رجعة النبى فهى رجعة مبدعة إذ يعود ليشق طريقه فى موكب الزمان ابتغاء التحكم فى ضبط قوى التاريخ وتوجيهها على نحو ينشىء به عالما من المثل العليا جديدا... «فمقام الشهود» عند الصوفى غاية تقصد لذاتها. لكنه عند النبى يقظة لما فى أعماقه من قوى سيكولوجية تهز الكون هزا... وقد قدر لها أن تغير نظام العالم الإنسانى تغييرا تاما. ورغبة النبى فى أن يرى رياضته الدينية قد تحولت إلى قوى عالمية حية رغبة تعلو على كل شىء... ولهذا كانت رجعته ضربا من الامتحان العملى لقيمة رياضته الدينية. فإرادة النبى فى عملها الإنشائى، تقدر قيمتها هى كما تقدر عالم الحقائق المحسوسة التى تحاول أن تحقق وجودها فيه. وعندما يتغلغل النبى فيما يواجهه من أمور مستعصية وينفذ إلى أعماقها، تتجلى له حينئذ نفسه فيعرفها، ويزيح القناع عنها فتراها أعين التاريخ. ولهذا كان من بين ما يحكم به على قيمة دعوة النبى ورسالته، البحث فى نوع الرجولة التى ابتدعها والفحص عن العالم الثقافى الذى انبعث عن روح دعوته.

وللمبهورين بالعلم التجريبى فى أوربا، يقول إقبال: فى كتاب «التقريب فى حدود المنطق» يؤكد ابن حزم أن الحس أصل من أصول العلم، وابن تيمية يبين فى كتابه المسمى «نقد المنطق» أن الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة إلى اليقين. وهكذا قام المنهج التجريبى القائل بأن الملاحظة والتجربة هما أساس العلم وأصله لا التفكير النظرى المجرد. وكشف البيرونى عما نسميه زمان الانفعال، وكشف الكندى لتناسب الحس مع الدافع مثلان على تطبيق هذا المنهج التجريبى، زعم خاطىء. يقول دورنج Duhring (إن آراء روجر بيكون Roger Bacon فى العلوم أصدق وأوضح من آراء سميه المشهور).

وهنا يعلق «إقبال»: ومن أين استقى روجر بيكون ما حصله فى العلوم؟ من الجامعات الإسلامية فى الأندلس. والقسم الخامس من كتابه Cepus Majus الذى خصصه للبحث فى البصريات هو فى حقيقة الأمر نسخة من كتاب «المناظر لابن الهيثم» وكتاب بيكون فى جملته، شاهد ناطق على تأثره بابن حزم.

ومن الغربيين يقول بريفولت Briffault مؤلف كتاب «بناء الإنسانية Making of Humanity (إن روجر بيكون درس اللغة العربية والعلم العربى والعلوم العربية فى مدرسة اكسفورد على خلفاء معلميه العرب فى الأندلس. وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذى جاء بعده الحق فى أن ينسب إليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى... فلم يكن روجر بيكون إلا رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوربا المسيحية، وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه اللغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة).

والقرآن الكريم مصدر ثر المنابع انبعثت منه قواعد كثيرة فى الفكر العربى والإسلامى. مثلا: أول قاعدة من قواعد النقد التاريخى هى القاعدة التى تقرر أن أخلاق الراوى عامل هام فى الحكم على روايته. وفى هذا يقول القرآن الكريم: (يأأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) سورة الحجرات ٦.

يركز «إقبال» تركيزا مكثفا على الأساس الدينى فى حياة الإنسان فمن لم يجعل الله له نورا فما له من نور... لقد باء «نيتشى» بالفشل لأنه افتقد الإيمان وتأثر بآراء أسلافه من المفكرين أمثال «شوبنهور» و «داروين» و «لانج» تأثرا أعماه كما يقول «إقبال» عند فهم المعنى الحقيقى لرؤياه فانساق إلى محاولة تحقيقها فى نظم مثل التطرف الأرستقراطى بدلا من البحث عن قاعدة روحية تكتمل بها الناحية الإلهية التى فى النفس، حتى فى نفوس الدهماء فتتفتح له أبواب مستقبل لا حد له ولا نهاية.

وهكذا كان الفشل نصيب عبقرى رسمت قواه الداخلية وحدها حدود رؤياه وظل عقيم الإنتاج لأن حياته الروحية كان يعوزها هداية خارجية خبيرة ... وكان من سخرية القدر أن هذا الرجل الذى كان يبدو لأصدقائه «كأنه جاء من أرض لم يعش فيها إنسان» كان يدرك تمام الإدراك نقصه الروحانى الكبير.. يقول نيتشى : (أنا وحدى، أواجه معضلة كبرى، وأنا كالتائه فى غابة لم تطأها قدم. أنا فى حاجة إلى العون، أنا فى حاجة إلى أتباع ومريدين، أنا فى حاجة إلى سيد. ما أحلى أن نطيع).

ويقول أيضا (لم لا أجد بين الأحياء من يسمو علىّ فى التفكير، وينظر إلىّ باحتقار؟ ألا اننى بحثت بحثا متواضعا؟ وإنى لشديد الشوق لرؤية أمثال هؤلاء الرجال).

وهنا يقول «إقبال»

فى الحق، أن خطة الدين وخطة العلم، على الرغم من تضمنها مناهج مختلفة، واحدة فى غايتها النهائية فكلهما يستهدف أقصى درجات الحقيقة.

***

كتاب عميق يجمع بين الدين والفلسفة والعلم فى خطوط متوازية ولكنها متحابة ... ومثل هذا الكتاب لا تستوعبه فى العرض صفحات محدودة ولكنها إشارات تومىء إليه وتدل عليه ... علامة لمن يريد أن يبحر، فيه.

كتاب
مرفوض لا نعرضه
بل نفنده
تأليف
إبراهيم حلمى

مرفوض لا نعرضه بل نفنده

عسير على الأديب الذى يتطلع ويطلع على عيون الكتب أن يقف عن حثالة مريض يتـردى ويخط نفـايات شيطانيـة مـا كنت لأقف عندها لولا أن قـومى فى أنحـاء العـالم الإسلامى أخذوا مـوقفا غدا التزامـاً أن أسهم فيه بما يربطنى بهم من وشائج لا تنفصم عراها.

الإسلام بالقرآن الكريم أعاد بناء الأنسان على أرض الجزيرة وما حولها كتاب فجر كتبا بل مكتبات ... ولم يكن الدين موضوعها الوحيد بل الأخلاق والتشريع والاجتماع وسياسة الحكم وتقاليد السلم والحرب ويتجدد القلب فتتجدد المعانى فيه.

وتتمزق الأمة الإسلامية من الفرقة والتشتت والهوى والخطأ والخطايا أحياناً ثم لا تموت لأن هناك شيئاً خفياً وقوياً يربطها فلا تضيع، ويمسكها فلا تتهاوى ... هذا الرباط الخفى القوى هو القرآن.

من قوة الرسلام ووثوقه فى نفسه أن دعا إلى التفكير والتأمل ليس فيه ضعف يخيفه ويخفيه بتحريمه المناقشة فلسنا ضد الفكر أو الرأى لقد اعترف الإسلام بالحضارات كما انفرد بالاعتراف بالأديان السماوية قبله ... لم يكن موقفه الرفض بل القبول وهو علامة قوة ووثوق وتفتح ونفاذ. لقد خرج الإسلام من بيئة بدوية ثم انتقل إلى بيئات حضارية معرقة فى المدنية كمصر وفارس فلم يدع ولم يهدد ولم يبدد بل حفظ وصان، وأضاف، وتبادل الأخذ والعطاء فى سماحة ورضا ألان صلبة العناد وأذاب رهبة الخوف أو التهيب أو التحفظ على أقل تقدير. بل من سماحته وعالميته أن أعتبر نفسه دولة عامة يقوم بها

المسلمون جميعا حتى عاصمته السياسية سرعان ما انتقلت من موطنه الأصلى إلى الأوطان الأخرى فهى دمشق وهى بغداد وهى القاهرة.

يقول كارليل فى كتابه (الأبطال) [لو لم يكن محمد فيه صدق لما استطاع دينه أن يعطى هذه الحضارة كلها].

مهما حاول مرجفون أن يسلبوا رسول الإسلام (صلى الله عليه وسلم) عطاءه فلن ينالوا شيئاً ... إن أشد الناس تعصباً لا يمكنه الإقلال من شأن النتائج الحضارية الخطيرة التى حدثت فى تاريخ البشرية وترتبت على ظهور محمد النبى العربى (صلى الله عليه وسلم)، وعلى قيامه ببث الدعوة إلى الإسلام وعلى انتشار هذا الدين فى منطقة كبيرة من العالم، فإن ما أحدثه محمد عليه السلام بدعوته، لاشك يعد نقطة تحول هامة فى مجرى حضارات العالم.

ولا يمكن مقارنة هذا الحدث بأى حدث آخر فى تاريخ البشرية.

لقد شغل الدنيا والناس والأقلام .. ألهم الكاتبين من المسلمين وغير المسلمين عشرات الكتب وألوف الصفحات بعضهم أطرى مناقبه والبعض الأخر، كابر، إذ له غرض خبئ ولكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الحالين كالشمس فى متوع الضحى لا يزيدها رؤية عين، ولا يغض منها ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر ... إنه على الحالين شغل الحياة والناس ... شغل التاريخ والمؤرخين دخل قلوب المؤمنين وعقول المفكرين ... قامت باسمه الدول وارتفعت أعلام. اهتزت عروش وظهرت عروش ... ولدت امبراطوريات ودالت امبراطوريات ... تغير التاريخ فى الشرق والغرب.

احترم الإسلام العقل وحرية الرأى بل شروع التحكيم الدولى وحدد المسئوليات الجنائية منها والمدنية كل هذا فى إنسانية عميقة تعى سلطان الضمير حتى لا يفلت الجانى من حسابه ولو أفلت من كل القوانين الوضعية والسلطات الحاكمة ... حتى ليعلن نقيب المحامين فى باريس أن (الشريعة الإسلامية لها من العمق والأصالة والدقة وكثرة التفريغ والصلاحية ما يقابل جميع الأحداث ولاحظ «ديورانت» فى موسوعة (قصة الحضارة) صلاحية الإسلام الذى جاء به محمد لمجتمع دائم، صلاحية تجمع بين الواقع والمثال. ويؤلف مونتجومري وات كتابا عنه بعنوان (محمد النبى ورجل الدولة) فيصفه بأنه (صاحب الامبراطورية المترامية الأطراف والتى ظهرت على مسرح الوجود بعد

وفاته) . ومونتجومرى وات يعزوها فيما يعزو من أسباب البناء المحكم الذى وضع قواعده بحيث يثبت على العواصف ... فإذا أسف إنسان حائر ضائع باع هويته وجنسيته وعقيدته فإنه لا يستحق إلا الإسقاط ... لو كان سلمان رشدى صاحب فكر علمى موضوعى لوقفنا عنده ولكن أن يسب ويقذف فذلكم هو التدنى الرخيص وكانت روايته المتخبطة كفيلة بأن تموت فى مهدها لو لم نعطه أكبر من حجمه القمىء. ربما استهواه الضجيج الذى أحدثه فيلم (الإغراء الأخير للمسيح) كما يقول الأستاذ فهمى هويدى، ذلك الفيلم الذى أثار المؤمنين فى الغرب فقرر أن يكرر التجربة مع الإسلام ونبيه فكان ما كان. وعلى الرغم من هذا لم يتأثر الإسلام.

فما ضر البحر أمسى زاخرا * أن رمى فيه غلام بحجر

إن قرار القتل رفضته دول إسلامية ولكنه الثأر القديم بين إيران والغرب وجد سببا يتعلل به. فاتفق وزراء خارجية المجموعة الأوربية على ايران وانضمت امريكا إلى الحملة حتى الوفد السوفيتى رشح «سلمان» لعضوية رئاسية فى اتحاد كتاب آسيا وافريقيا.

اشتعلت أوربا وأمريكا إلى حد الانتفاضة كما يقول الدكتور مصطفى محمود بدعوى الدفاع عن حرية الرأى أين كانت حرية الرأى عندما أعلن الباحث وأستاذ الأدب الفرنسى بجامعة السوربون (روبير فوريسون) من خلال بحث علمى دقيق كذب الزعم اليهودى بأن ألمانيا أحرقت ستة ملايين من اليهود فى افران الغاز فى الحرب العالمية الثانية وسيلة ابتزاز وتعلة لإحلال اليهود محل الشعب الفلسطينى؟

لقد تعرض الأستاذ العالم للمحاكمة القضائية سنة ١٩٨٠ وللطرد من الجامعة وللاضطهاد بكل ألوانه مما فصله الأستاذ رجاء نقاش فى عدد المصور (٨٩/٣/١٦) .

أين كانت حرية الرأى فى جرائم صبرا وشاتيلا وتعذيب الكتاب والشعراء فى الأرض المحتلة؟ إن إسرائيل تدان كل حين بجرائم تجسس فى امريكا نفسها فلا تلبث أن تحمى جرائمها فى المنطقة باستعمال الفيتو؟ .. فلا ثارت حرية الرأى هنا أو هناك. أين كانت حرية الرأى فيما تقوم به اسرائيل من الاختطاف اختطاف الأرض والبشر والوثائق والمعلومات والتراث فعلت هذا فى سيناء وفعلت هذا فى نابلس حين فرضت حظر التجول ليهدموا أثناءه المبانى ذات التاريخ وكل تراث كما جاء فى مقال الأستاذ أحمد بهاء الدين فى أهرام ٨٩/٢/٢٨.

إن من حقوق الإنسان أن يقول المرء رأيه ولكن حرية الرأى محكومة بضوابط منها أنها تنتهى عند ابتداء حرية الآخرين أو بتعبير آخر حرية الرأى ليس معناها انتهاك حرمات الآخرين والتطاول على مقدساتهم التى يعتبر احترامها من حقوق الإنسان الأساسية.

لقد منعت دول إسلامية عرض فيلم (الأغراء الأخير للمسيح) لأنه يسيئ إليه. ومن الحق أن نقول أن بعض الكنائس استنكرت رسميا الكتاب بصفته تهجما على الدين بوجه عام.

كما طالب نواب فى انجلترا الذى يقتصر قانونها على عقاب من يهين الدين المسيحى، بتعديل القانون ليشمل كافة الأديان.

وحين ندد غربيون بالعالم الإسلامى قاطبة حين أحرق بعض المسلمين نسخا من الرواية الرخيصة المبتذلة، ذكرهم الكاتب بارى جيمس فى مقال نشره بجريدة الهيرالد تريبيون بأن (حرق الكتب كان هو المسئول عن اعدام كل التراث الاغريقى العلمى والفلسفى القديم واغراق أوربا فى ظلمات القرون الوسطى تحت سطوة الكهنوت وأن الذين حفظوا التراث واوصلوه إلى أوربا كانوا المسلمين الذين قاموا من خلال ابن رشد بدور كبير فى القرن الرابع عشر وحين ترجمت أوربا عن ابن رشد استردت وعيها وبدأت عصر النهضة.

لقد صادرت مرجريت تاتشر كتاب (صائد الجواسيس) وحاولت منع بيعه حتى فى استراليا ودول الكومنولث لأن فيه ما يمس دوائر الأمن والمخابرات الإنجليزية.

فمن حق الدول الإسلامية، ممثلة فى الأنظمة السياسية أن تعلن:

١- مقاطعة أى دار نشر تصدر كتابا يمس الإسلام.

٢- رفع قضية تعويض مادى كبير فيه هذه القضية تتضامن فيها الدول الإسلامية جميعا.

٣- الاحتجاج الرسمى عليه من كافة الدولة الإسلامية طالما لا يحكمه فكر أو موضوعية بل أحقاد رخيصة وعبارات مريضة مسفه فالملاحظ والمؤسف أن هذا الحدث لاذت فيه المؤسسات السياسية بالصمت، ولم تتحرك إلا المنظمات الدينية والثقافية.

٤- منع صاحب هذا اللون، من الخوض فى الحرمات الدينية الإسلامية من دخول سائر البلاد الإسلامية .. ومثله من ظاهروه.

وعلى الجانب الايجابى _ الطويل المدى _ تأليف الكتب العلمية عن الإسلام: الفكر والشريعة والتشريع والإنسانيات وترجمة ما عندنا منها _ وهذه الحركة يقوم بها كتاب وعلماء على مستوى عال من الثقافة والتفكير كجزء جوهرى من رسالة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مصر والهيئات الإسلامية فى سائر العالم الإنسانى على أن يكتب الجديد، أصحابه فى لغة أجنبية حية أو يترجمها عنهم منا من يجيدون اللغات الأجنبية حتى لا نترك الغرب ميدانا للمتخبطين والشانئين وذوى الأغراض بل نرد على نحو ما فعل الأستاذ العقاد فى كتابه (ما يقال عن الإسلام) ونبرز على نحو ما فعل (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه).

ويدخل فى الحركة الفكرية التى يجب أن تقوم تصفية تراثنا مما علق به من الاسرائيليات والمدسوسات فإنها مقصد للمغرضين يستدلون به على تخريجات، الإسلام منها برئ وتصبح مجالات للتفريخ والتخريج مادمنا لا نتحرك لرفضها وإسقاطها وإظهار أسباب دسها لنطهر ساحتنا منها.

إن هذه التجربة يجب أن تكون مؤشراً إلى الغرب الذى ينساق إليه أصحاب عقدة الخواجة فيقعون فى الانبهار بكل ما ينتمى إليه غير واعين بسلاح التغريب المسلط علينا فى ثقافتنا واذاعتنا بل ووسائل حياتنا اليومية وهو موضوع كبير.

إن التمسك بديننا فى جوهره والارتفاع به على الشكليات والتمسك بتاريخنا وما أعطى والتمسك بتراثنا وما يعنيه، تماسك فى وجه الغرب الذى يريد أن يزلزل الأرض تحت أقدامنا.

يجب أن نعيد حساباتنا على ضوء ما تكشفت عنه هذه التجربة فى مناهج التعليم وقنوات الإعلام جميعا لنصحح مسارنا ونسترد شخصيتنا.

لسنا بحاجة إلى من يعلمنا حرية التعبير فقد عرف الإسلام قبل الغرب بأربعة عشر قرنا حرية التعبير بكافة ألوانه وفى أعلى مستوياته فإن كتابنا يعلمنا قول الله عز وجل (لا إكراه فى الدين) وقوله سبحانه وتعالى (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) .. حتى أولئك الذين لا يتبعون دينا سماويا أمر الرسول أن يقول لهم (لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عابدتم لكم دينكم ولى دين).

قمة أدب الحوار والخطاب.

كل يوم تشير الدلائل إلى وجوب اليقظة والاعتماد على أنفسنا، والأخذ بوسائل القوة ليعيد الغرب حساباته فى تصرفاته معنا دولا وشعوبا ..

إن الإسلام فى مسيرته الطويلة يخيف الغرب بقوته الذاتية حتى فى حالات ضعف الدول الإسلامية سياسيا .. ودليلى من يدخل فى الإسلام اليوم من أعلام الغرب أمثال العالم جارودى وحتى الذين لا يعلنون إسلامهم، معروفا عنهم قولهم:

Nous sommes a la Maison d'Arkume

إشارة إلى دار الأرقم حيث كان يلوذ المؤمنون تقية من تحيف المشركين وذلك قبل إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

كما هاجم الإسلام مستشرقون وسياسيون. يقول لورانس بروان سافرا [الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام وفى قدرته على التوسع والتتبيع ... وفى حيويته .. إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى].

سفر طويل قام به قلب الرسول عليه السلام، اثناءه، وبعده، تحيف كاتبون، وأرجف قائلون، وحرف سامعون، وتخوف مشفقون ولكن الآية الكريمة تقول [إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون] فإذا بالإسلام يزداد تمكنا ورسوخا وشموخا تجلجل فوق سامقات مآذنه فى شرق وغرب كلمة (الله اكبر).

لقد حارب «رينان» الإسلام حربا تكفل بالرد عليها الامام الشيخ محمد عبده ولكن (رينان) هذا قال فى النهاية [ما دخلت مسجدا قط إلا أعترانى شعور بالندم أننى لم أكن مسلما].

فمن يكون هذا السلمان لا سلم ولا رشدت له حياة.

لا عليك يا رسول الله إن شانئك هو الأبتر.

لقد أديت يا نبى الإسلام وأوفيت وأعليت وهديت وكنت على رأس أعظم مائة فى العالم بشهادة من لا يدينون بدينك.

لقد قدمك «مايكل هارت» فى كتابه (الخالدون مائة) على المسيح ... عليكما سلام بقدر ما دعوتما إلى سلام النفس وسلام الأرض.

رقم الأيداع : ١٤٦٩٩ / ٩٨



7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين
تليفون : 3256098 - 3251043

هذا الكتاب

أن يرى المسلم ، الاسلام من إعزاز فذلك شيء طبيعي ولكن أن ينوه غير المسلمين وخاصة العلماء بالإسلام ، فهنا وقفة لها دلالات كثيرة .

وقد حرص الكتاب على الرؤية العلميه والرأى الدارس لعلماء وكُتاب غربيين وشرقيين حول الاسلام حتى أولئك الذين يشوب رأيهم اجحاف أو ، بعد عن الإنصاف مثل « رينان » .

يقف هذا الكتاب بالدراسة العلمية والتحليل النافذ والإبحار فى كتب تعكس قضايا وآراء تتناول الاسلام وضعها أعلام من الشرق والغرب فجاء خلاصة مكثفة لدراسات فى الفكر الاسلامى وقضايا المجتمع فى الاسلام وتجديد التفكير الدينى فى الاسلام وتاريخ العلم ودور العلماء العرب فيه ، وصلة الاسلام بالمسيحية، وعطايا الفن واسهامات الاسلام فيه حتى أصبح (الفن الاسلامى) علامة بين الفنون .

يعكس هذا الكتاب موقف الغرب من الاسلام : من تحاملوا عليه ومن أنصفوه دينا وحضارة وسياسة مثل أرنست كونل وتوينبى ، والسفير الألمانى دكتور ويلفريد هوفمان وقد اعتنقه عن اقتناع عميق، وغيرهم .

كما وقف الكتاب عند من تحاملوا على الاسلام فى مواجهة موضوعية لآرائهم لتكتمل الصورة فالاسلام من الوثوق بحيث لا يخشى المواجهة بل لعله يؤثرها لأنه دين وعقيدة وشريعة ومواقف فى السلم والحرب وصلاحية لكل عصر .

دين يطب للانسان روحا وعقلا وسلوكا وأسلوبا فى الحياة .

ISBN : 977-281-074-3



ACADEMIC BOOKSHOP